

أيمن كامل إغبارية / **ملاقط عَسِيل**

أيمن كامل إغبارية

ملاقط عَسِيل

شعر





منشورات بتحرير: بشير شلش
حيفا، ص.ب 4524
شارع مسادا 34
هاتف: +972 (0)50 4727870
raya.publication@gmail.com



أيمان كامل إغبارية / شاعر فلسطيني
ملاقط غسيل / شعر

Ayman K. Agbaria
Cloth Clips \ Poems

الطبعة العربية الأولى 2015



يصدر بدعم من :

البايس في دعم الثقافة
مجلس البايس للثقافة والفنون

© جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه،
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن
مبني على موافقة الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in
a retrieval system or transmitted in any form or by any means without
prior permission in writing of the publisher.

أيمن كامل إغبارية

شاعر وكاتب مسرحي فلسطيني، من أهم الأصوات الشعرية الفلسطينية التي ظهرت في نهايات التسعينات. ولد في العام ١٩٦٨ في مدينة أم الفحم حيث يعيش اليوم ، وأنهى دراسة اللقب الثالث في سياسات ونظريات التربية والتعليم في جامعة ولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة. يعمل حاليا محاضرا جامعيا في كلية التربية في جامعة حيفا ورئيسا لبرنامج طلاب الدكتوراه المتفوقيين ضمن معهد ماندل للقيادة في القدس .

نشر د. إغبارية العديد من الكتب والمقالات العلمية المتخصصة وشارك في العشرات من المؤتمرات والندوات المهنية ، إلى جانب نشاطه المتواصل ضمن مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني . هذا وقد ظهرت قصائده في الصحف والدوريات الأدبية وكتب المختارات والمهرجانات الدولية ، حيث ترجمت بعض قصائده إلى الإنجليزية والعبرية والإسبانية والألمانية والفرنسية والإيطالية والألبانية. له كتاب شعر واحد بعنوان «تراث ، وأحب لا يجمعني أحد» (صدر سنة ١٩٩٧ عن دار المشرق) وسلسل قصائد نشر أغلبها ضمن صحيفة «الإتحاد» ودورية «مشارف» الحيفاويتين. كما أنتجت ثلاث مسرحيات من تأليفه هي «الباص» (٢٠٠٣) ، مهرجان المسرح الآخر- عكا) و «بياض العينين» (٢٠٠٥ ، مسرح الميدان-حيفا) و «يا شمس لا تغيب» (٢٠١١ ، مسرح إنسمبلا فرينج -الناصرة).

الإهداء

إلى شريكة عمري عرين أحمد إغبارية:

الغسيل لي أما الماء فمن عندك

«هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسُ لَهُنَّ»

(قرآن كريم ، المقرة: ١٨٧)

غَسِيل الولادة

عني وعنه العالم

أول مرّة

خرج رجلٌ مني كأرجوحةٍ ملوية الذراع
كان ذلك الرجلُ أبي
والعالم ساحة بيتي الخلفية.

آخر مرّة

خرج رجلٌ مني كنحلةٍ تُحسن أكثر من لغةٍ
كان ذلك الرجلُ شاعرًا
والعالم صحنٌ عسلٌ.
بعدها أغلقتُ أبوابي
ومنعتهم من العودة إلىّ.

موسم على الهاتف

إلى...

قلبي لك وبعد،

يرن هاتفي.

مطر من فضةٍ

يرتضم بأرض القلب.

ألو.

تكبر في أشجارٍ من ذهبٍ.

ألو.

تقطفها أذناك.

ألو.

من معى؟

هذه أنا حارسةُ الحديقة.

عُمر

أجبته: «أنا شاعر»
فتأنلني بعينين مُشمسَتَيْن.
«أنا شاعر يعني كاتب»
«عُمر» ابتسم وقد فهم أو تفهّم:
«وأنا بعرف أكتب»
أشرقت من عينيه طفولي
وغابت في قلبي.
ووجدت كلماته ظللاًها في هذه القصيدة.
فيها فهمت مما صار الشجر أطول متنٍ
وما لم يعد أبي أقوى رجلٍ في العالم.

عصا الأستاذ «أحمد»

عصا الأستاذ «أحمد»

تنقرُ كلماتها على لوحٍ لا يحفظني
بإيقاعٍ لا يُرِقُّص إلا خوفي منها
وإصبعي تسبحُ في صفحٍ لا تنتهي.
لكنَّ الأغنية الوحيدة التي في رأسي
اسمُها «الفرصة»

والبحيرة الوحيدة التي أمامي
هي وجهُ بنت من السابع «ج» كُبرت مِرَّةً واحدةً.
فجأةً كان عليَّ أن أعرِبَ «حق».

حتى الآن
أذكرُ كيف حتَّحتني العصا.
حتى الآن

تبعتُ خلف أكثر من معلمٍ وكاتبٍ وسياسي.
كلَّهم حملوا عصاً أغلظَ من إصبعي
وقفوا أمام لوحٍ أوسعَ من قلبي.
كلَّهم استعملوا الطبشور أكثر من المحاهة
ولم يُفرِّقوا بين السطرين والصراط.

لم يفهم أحدٌ منهم أنَّ «الصف» الأعوج من الثور الكبير
 وأنَّ أهلاًنا يحبوننا أكثر من كُتبنا.

لم يتوقف أحدٌ منهم بنا عند البياض بين الكلمات
كي نشاهد فجر الكتابة ونفهم جدوى الصمت.
قلةً منهم وزارت بين ظروف المكان وظروف حياتنا
وجريدةً بجوارها لأحلامنا،
حيث بإمكانك أن تصبح زجاجاً أو عالم فضاء
دون أن يسخر منك أحد
وحيث بإمكانك أن تذهب للمدرسة بأمان
سعياً بسمتك أو لغتك.
قلةً علمتنا الأمل والثقة بالأيام المُشمسةِ
كي تُحاورَ ظلالك دون خوف
وتحدق مطولاً في بيوبِ التمل والغيوم
كي تتأكد أن العالم أوسع من بيتك
 وأنَّ في السماء ما يستحق الحياة لأجله.
قلةً منهم كانت ميناً.
أحدهم كان معلماً للغة العربية، واسمه (خالد)
فهم بسرعة أني إذا نسيت كلمةً فذلك لأنها آذني.
دلني كيف أسر امرؤ القيس ظبياً وذئباً ونعماتَه
في بيتهِ واحدٍ ربط أماته حصانه وذكرياته
فأحببَت الشِّعر وكرهت تكُلُّفَ «البحري».
كان ذلك أول معلم أراني الدمع
التي تسحُّ على عصاـلـ «نا» في قصيدة «أضحي الثنائي».
قلَّب العصا نايَا
فأنشدت معه كأني في قصرِ «ابن عباد».

ثم جَعَلَهَا مِنْظارًا
فَرَأَيْتَ فِي طَرْفَهُ «وَلَادَةً». .
كَانَتْ تَلَكَ أَوَّلَ عَصَاصًا تَبَتَّلُ ثَعَابِينَ الشِّعْرِ؛
أَوَّلَ عَصَاصًا أَرْقَصُ بَهَا دُونَ خَوْفٍ.

«الليغو»

في القصيدة
أمواج البحر والسفُن والنوارُ
قطعٌ ليغو.
قطعٌ جديدةً دائمًا .
دائمًا بإمكانك فكها
وبمقدورك تركيبها من جديد
لتناسب رحيلًا آخر
أو امرأةً جديدة .
في القصيدة لن تجد أبدًا
موجةً غير صالحة للاستعمال
أو حزناً لا مكان له .
في القصيدة لن تجد أبدًا
رملاً قدِيمًا
أو شراغاً بلا احتمالات .
في القصيدة
دائماً باستطاعتك الكتابة بقطع الليغو
وتركيب حياتك
قلعةً كبيرةً من أكاذيب صغيرةٍ.

أول مرة آخر مرة

.١

عند النهاية
سأقف لأول مرّةٍ
كي أطلّ على أول مرّةٍ
عرفتُ أن أبي سميَ الحياةً رحلةً
والأيام نملاً من الأصدقاء والأعداء
وسميَ أسرتنا سكرًا على طاولةِ المطبخ.
أول مرّةٍ
عرفتُ أن أمي تبكي من أصابعها
وتخافُ الليلَ مثلي
حين تمتلئُ القصيدةُ بالهدوء
وحين يتأخُرُ إخوتي بالرجوع إلى أحلامهم.
أول مرّةٍ
عرفتُ أن إخوتي يقيسون الشّوقَ مثلي
بالقمصان المُشتراكَة
وبإغماضات العينِ عندَ دعاراتِ السفر.

عند النهاية
سأقف لأول مرّةٍ
كي أطلّ على أول مرّةٍ
إبتعدُ شارعاً أو محادثة عن بيتنا
لأرى أين يسقط القمرُ.
أول مرّةٍ

وحدث أن لجيري جيراناً غيرنا
 وأنهم مثل ي بلا سببٍ واضحٍ
لشروق الشمس وشراء السكاكين.

أول مرّةٍ
فهمت أن حارتي فقدت السنونوات الأخيرة
وأن الحمام الباقي فيها كسيحٌ
لا يطلع الصبح فيها
بل يمر منها أو إلى جانبها.
أول مرّةٍ

عدت إلى مدینتي وهي موصدٌ
على شرورها الصغيرة وتقولات الصباح
وأنا على بابها بلا ذاكرة واضحة
عن أسباب وفائي لها.

.٣

عند النهاية
سأقف لأول مرّة
كي أطلّ على أول مرّة
طاردتني فراشةً
لأنني شربت من رأس النبع وحدي
ولأنني دخنت في المراحيض.
أول مرّةٍ
هاجمت الشجر بظلي
لأنني لم أزهر مثله
كما توقع مُرّبي الصفّ
ولأنني تركت أصدقاء الطفولة
خلفي أو أمامي.
أول مرّةٍ
من الخريف جوار قصيدي
ولم يلتفت لورقي
لأنني كسرت زجاج المدرسة
ولأنني فضلت دموي على المطر
حين فاجأني الشعرُ أسطو على بيضه الملوّن.
أول مرّةٍ
إنسحبت نحو ذكرياتي
حين عرفت أن الصمت غناء الطبيعة

وأني وحيد أمام وحدتي
وحزين أمام حزني.

.٤

عند النهاية
سأقف لأول مرّةٍ
كي أطلّ على أول مرّةٍ
ميّزتُ أعدائي وهم يسرقون أجنبتي ولغتي
كي يحرثوا وجه أبي
ويزرعوا المغيّب بين يدي أمي
وهم يقصدون اخوتي.
أول مرّةٍ
سامح أعدائي أنفسهم
على أخطائهم تجاهي
وحكوا لأحفادهم قصة أجدادي
ثم حلموا عني بوطني وندموا أكثر مني.
أول مرّةٍ
فهمتُ أن أعدائي أكثر مما تصورتُ
وأنهم بين من سرقوني وبين من يحرسوني
بين من يكون عليّ
وبين من يكون معي ومني.

عند النهاية
سأقف لأول مرّة
كي أطلّ على أول مرّة
رأيتُ وسادتي تلُد الندى الأبيض
قبل أن تلدني
وسمعتُ حياء المرايا أمام غزالة عارية
قبل أن تلبسني.
أول مرّة
شممتُ عطر المفاتيح على شرشف الغابة
قبل أن تضيّعني
وذقتُ عشبًا حافيًا على فم عصفورٍ أحمر
نقر زجاج القلب وأدماه
ثم علمني أسرار القمم.
أول مرّة
لمستُ امرأتي سهواً
قبل أنلامستُ حواسِي كلّها
و قبل أن دخلت القصيدة
كي تدل الكلمات إلى.

عند النهاية
سأقف لأول مرّةٍ
كي أطلّ على أول مرّةٍ
صادقتُ لسانِي وأصابعي
عواًضاً عن الريح الكاذبة ونشرات الأخبار.
أول مرّةٍ
ظهر اسمي في الصحف شاعرًا وكاذبًا
ومُلاحقًا في الملاحق
متكلّمًا عن الكلام وكاتبًا عن الكتابة.
أول مرّةٍ
صارت القصيدة مخباً
للمرايا والتوافзд ودويي الرصاص في الليل
وصارت صندوق قمامه
لكل شيءٍ.
أول مرّةٍ
ضاقت القصيدة على العتمة وصياغ الديكة
وتهتكت أمام إظفر أحمرٍ
ثم تسترت بالسرّ
وأغمضت على الغموض.

.٧

عند النهاية
ساقف لأول مرّة
كي أطلّ على أول مرّة
فهمتُ أن البداية قبرٌ فارغٌ
وانّ النهاية جسدها.

أول مرّة
فهمتُ أنه عند النهاية
ساقف لأول مرّة
آخر مرّة أطلّ فيها
على أول مرّة
أرى فيها النهاية آخر مرّة
أول مرّة.

إِيروتِيكَا

نملةٌ تلحسُ قطعةَ سُكّر.
ذبابةٌ تقتحمُ نقطةَ عسلٍ.
حمامَةٌ تنقرُ وسادةً.
قطةٌ تلعق ساق الكرسي.
كلبةٌ تسقط لسانها إلى حسامٍ دافِعٍ.
طفلةٌ تدخلُ يدها إلى ثقوبِ الشجرِ.
صبيةٌ تمضُ أقلامها في السرير.
إِمرأَةٌ تشتهي صياح الديكةِ حولها.
وأنا.
أدقُّ جدران الليل
بقضيبٍ من ذهب،
كي تسمعني أيُّ امرأَةٍ
 تستطيعُ أن تأكلَ رجلاً كاملاً
كُلَّ مساءٍ
مقابِلَ أن يُخصِي مخاوِفَهُ عليها
وأن يعد لها طعامَ الفطور
من قصائده وخشاراته.

معك

إلى ...
قلبي لك وبعد،
عندما تكونين معي
يقلُّ الهواءُ
لكنَّ المدى يصيرُ أرحبَ.
ينكمشُ السريرُ
لكنَّ النومَ يصيرُ أوسعَ.
يضيقُ الليلُ
لكنَّ الحلمَ يصيرُ أكبرَ.
ويصغرُ العالمُ
لكننا نصيرُ أكثرَ.
أكثرَ أكثرَ.

وقتان

إلى...
لك والآن،
حياتي وقتنان.
وقت سيكون لك
ووقت أنتظرك فيه الآن.

عندما... دائمًا

عندما الليل...

فمُك قطعة حلوى تتوجه
وأنا ألف طفل يقتتل عليها.

عندما القصيدة...

صمتك كلمة واحدة ثرارة
وأنا ألف شاعر يقتل عليها.

عندما لا أكتفي بك،

أكل من كتب غيري الحاجة للحنين
وكل السكر الذي كان مرّة كنایة عن تجربة غامضة.

دائماً لا أقول كل شيء عن الحب،

لذلك أقلب استعاراتي على رأسها

صريحةً وواضحة:

حبة البقلة هذه هي القمر الذي يشير إليه إصبعك
مسلسل السهرة هذا هو كل ما لدى لأقوله

حول أنني أحب أن أهرم معك.

والمطعم الذي وجدناه مغلقاً

وكراسيه مقلوبةً على الطاولات في عز الظهر

هو أبلغ ما كتبه الشعراً عن الشهوة

حين تنام وتستيقظ بلا مواعيد كل العمر.

جَسْدٌ جَدِيدٌ

صَبِيَّةٌ تَهُبُّ عَلَى الرَّصِيفِ.
عَاصِفَةٌ سَاخِنَةٌ تَشُبُّ مِنْ عَبْهَا
تَحْمُلُ اندِفاعَ قَامَتْهَا
وَاسْتَعَالَ عُمْرُهَا
تَهُورَ ثَدِيهَا وَرَاحِثَةً إِبْطِيهَا.
تَمْلُؤُنِي الرِّيحُ بِحَضُورِ أَسْمَائِهَا
فِيفِيَضُّ فِي
بِأَزْرَارِ جَارِزَتْهَا وَبِطَعْمِ أَعْضَائِهَا.
يَنْتَصِبُ عَلَى صَدْرِي بِيَتَانِ لِلنَّمْلِ
يَأْكُلُنِي بِلَا هُوَادَةَ،
فَتَسَاقِطُ مِنِي رَائِحَتِهَا حَوْلِي
فَوْضِيُّ مِنْ قَطْعِ السَّكَرِ وَالْأَظَافِرِ الْمُلَوَّنَةِ،
وَتَشَقُّ بِاطْنَ قَدْمِي عَظِيمَتَانِ
كَكْعَبِيُّ حَذَائِهَا الْعَالِيِّ.
صَبِيَّةٌ تَهُبُّ عَلَى الرَّصِيفِ
تَعْصِفُ بِأَعْضَائِي
وَتَبْقِينِي خَلْفَهَا أَتَحْسَسُ
جَسْدِيُّ الْجَدِيدِ
وَأَنْتَمِي إِلَى احْتِمَالِهَا.

الغريب (١)

غريبُ يولدُ في بيتي
يلبسُ ثيابي
ويسيقني إلى طعامي.
يداه نظيفتان.
عيناه مُعَقّمتان.
فمهُ أبيضُ
مثل حبة إسبرين.
وذاكرتهُ حبلٌ غسيلٌ.
يسرقُ قُصصاني
ويُسِقْطُ ظلّه على حدّ جسدي.
أقفُ عارياً
أرقبُ نصفيه:
شفتاي الداميتان
وعيناها المليئتان بالطيوور المهاجرة.
أخافُ من حبّنا المشترك
لزهور بلادي والكتاب الأجانب.
ويخافي
حين أترك قهوتي
وحدها

ملاقط عَسِيل

حتى تبرد.
أغلق بابي
لأتأمل وردةً من البلاستيك في غرفة نومي.
ويغلق هو قلبهُ
كي يؤلمني.

دُمْ عَلَى الشَّفَتَيْنِ

.١

يرتحلُّ العربيُّ
فيطوي خيمته
كلامًا فوق الكلام
ودمًا فوق الشفتين.

.٢

بين الستور خباءً للقصيدة
فيها قمرٌ يستديرُ
عندما نحبُّ
أفقٌ ينفتحُ
عندما نطلقُ صقرَ الوحشةِ
وشهوةً تتحجّرُ أرجلُها
إذا أطلالت نومها.

.٣

كل كلمة خباء
يحملها العربيُّ من مكانٍ إلى مكانٍ
مثل كتب قرأها

لـكـه ما زـال يـنـقـلـهـا مـعـ أـبـطاـهـا
مـنـ قـصـيـدـةـ لـقـصـيـدـةـ
كـلـ العـمرـ.

.٤

فـي كـلـ كـلـمـةـ رـحـابـةـ ضـافـيـةـ
لـتـرـبـيـةـ الـخـشـيـةـ وـالـمـخـاـوـفـ
وـلـخـزـنـ أـلـفـ كـنـايـةـ وـسـؤـالـ
زـادـاـ لـفـرـسـ وـذـئـبـ وـنـعـامـةـ
أـسـرـهـمـ اـمـرـؤـ الـقـيـسـ فـي بـيـتـ وـاحـدـ.

.٥

فـي كـلـ كـلـمـةـ قـصـيـدـةـ
لـاـخـتـلـاقـ وـاحـةـ لـلـغـرـبـةـ وـمـسـجـدـ لـلـشـكـوـكـ
وـلـنـصـبـ خـيـمـةـ لـكـلـامـ التـرـحالـ
لـلـعـرـبـيـ يـطـوـيـهـاـ كـلـامـاـ فـوـقـ الـكـلـامـ
وـدـمـاـ فـوـقـ الـشـفـتـيـنـ.

عَيْنٌ وحِيدَةٌ

أحدنا فقدَ هنا موطئ قدَمه
بصمةً من الوحل تستدير حولنا الآن
مثُل عينٍ وحيدةٍ في الجبهة.
تنفتُ الآن
كأنها تبكي
أهداياً مُمزقةً على حواشِي التراب.
الآن تغمضُ جفنها
وتَلُدُ بصرًا قديماً.

البنت البستوني

قلت لرواد المقهي: «لست من هنا»
فلاعبوني الورق على مهلهم.
«سامضي بعد قليل»
فدعوني لليلهم
واعذرلوا لأن الشاي بلا نعناع.
«ثمة من ينتظري»
عرفوا أنني شاعر
وأراحوا على الطاولات عيونهم.
«بالصدفة ... دائمًا معى قصيدة»
أخرجوا من جيوبهم قلوبهم
وصور حبيباتهم.
«كتبتها عن ليلة بين غرباء قدامي»
نظفوا زجاج ساعاتهم
ضبطوا روحهم ودخلوا القصيدة.
«القصيدة طويلة... أرجو أن تحتملوني»
غلّقوا على الباب لافتتين:
(مفتوح) و (لا ننتظر أحداً)
ثم تنهدوا سماءً من الإسفنج.
«قلت لرواد المقهي:»

بدأوا يحصون السنين أقراص إسبرين
واقتربت بيوتهم الى الرصيف لتأخذهم.
قلت وقلت وقلت وقلت حتى قالوا
«ورقك لن يكتمل إلا بالبنت البستوني فاصبر مثلك»
قالوا وانصرفوا خائبين إلى بناتهم المؤقتات.
بقيت خلفهم أقول وأقول وأقول:
«غدا سأبحث من جديد عنها
في مقاهٍ جديدة مع غرباءٍ جدد في قصيدةٍ جديدة».

وللحبّ بقية

أحبُّ

ألا أوضح تماماً.

أحبُّ

ألا أحبّ تماماً.

حتى يظل لنا أن نحب أكثر

ويظل لنا في الكلام بقية.

غَسِيل العائلة

«الله حماه»

«الله حماه»

رددت أمي لحالاتي

حين أحطّن قدمي المكسورة

فأجبتها «المكتوب مكتوب».

ابتسمتُ

وفرحتُ بصديقي الجديد الذي رمانني وحُمانني.

منذها قفزتُ من شرفات أعلى وأوسع

وكسرتُ أكثر من قلب.

لكنني كنتُ أسقط دائمًا على نفس الدرج

الذي يؤدي إلى بابِ أمي.

منذها حاولتُ التحليق

مثل الكثير من الأبطال الخارقين والملائكة.

لكنني كنتُ أسقط دائمًا إلى يدي صديقي القديم.

ما زال يحmine ويُجبرُ حزني

كلّما ارتفعتُ كأصواتِ البياعين

وسقطتُ كأكياس النّايلون

وكلّما علوتُ مثل مشاجرات الجيران

ووقيعَتُ مثل بقاءٍ مكتوم.

ما زال يحmine ويَلِم نثاري

كُلما شابهُ الرُّمان
حين يتساقطُ ممتلئاً بالأسف الأحمر
ومفلوقاً من شدَّةِ البَصَر
وكُلما شابهُ حداء الأعراس
حين يتهاوى عن قمَّةِ الليل
وحيداً ورتيباً وثقيلاً.
ما زال يحmine ويسامحنني
كُلما شققتُ الجبص القديمَ حول روحِي
كي أتيقن من شكويٍّ وكسرىٍّ.
ما زال يحmine
وما زلت أحَاوُلُ أن أطيرَ على بساطِ أمنياتٍ
لا تنسّله رفَّاث عيني على زوجتي وإخوتي.

وسائلُ أمّي

أئِي تُلْبِسُ الْوَسَائِدَ شَجَرًا وَعَصَافِيرَ وَ«صَبَاحُ الْخَيْرِ»
إِلَّا وَجْهَ وَسَادِتِهَا.
لُونُهُ دَائِمًا أَبْيَضَ.

يَرْشُحُ نُومُهَا مِنْهُ إِلَى قَاعِ الْأَرْضِ حَفِيفًا مَجْرُورًا.
يَنْخِشُ كُلُّمَا هَرَّةٌ جَنَاحٌ قَدِيمٌ.

لَوْ كَانَ قَلْقَهَا عَشَبًا لَفَرَمَتُهُ مُثْلَ الْأَيَّامِ
أَوْ لَتَرْكَتُهُ يَنْمُو حَتَّى يَغْطِي السُّفُوحَ الَّتِي رَكَضَتْ عَلَيْهَا
قَبْلَ أَنْ يَلْاحِظَ أَبُوهَا أَنَّهَا صَارَتْ تَفَكَّ الْحَطَّ وَالْقُلُوبِ.
لَوْ كَانَتْ مَخَاوِفُهَا نَثَارًا

لِكَنْسَتِهَا مُثْلَ كَسْلِ الْعَائِلَةِ الْمُتَوَارِثِ
أَوْ لَتَرْكَتِهَا تَذُوبُ تَحْتَ كَدَّ يَدِيهَا
وَهِيَ تَرَبَّيْنَا عَلَى الَّذِي يَخْتَلُطُ بِالصَّبَرِ
وَلَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَسْمِيهِ هَزِيمَةً
وَيَخْتَلُطُ بِالظَّمْوَحِ

وَلَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَسْمِيهِ إِلَّا «الْحَمْدُ لِلَّهِ».
لَوْ كَانَ هَمَّهَا سَرًّا لِحَبَّاتِهِ

فِي إِحْدَى مَزَهْرِيَّاتِهَا الْمَكْسُورَةِ فَوْقَ خَزانَةِ الْمَطْبَخِ
أَوْ لَفَسَرْتُ بِهِ هَزِيمَةُ الْعَالَمِ
أَمَامَ إِصْرَارِهَا أَنْ تَبْنِي سَوْرًا حَوْلَ بَيْتِنَا.

لو كان ترقبُها حلماً لوهبته لأبي كي يضيعه
مثل كلّ ليلة.

واستراحت
مثل كلّ ليلة

حين تفترش الأرض جوار باب الشرفة الموارب
وتحمض علينا أسنانها.

كم صورة لأولادها عليها أن تعلق حوها
حتى تطمئن أنهم عادوا إلى شققهم سالمين؟
كم محطة على راديو أبي المفتوح كل الليل
عليها أن تعداد كي تشق بتفاؤله؟

كم مرّة عليها أن تتقلب في فراشها
كلّما مرّت سيارة أو بَكَّر جارنا بالسؤال؟
لا أعرف.

لكنه ليلٌ يتكسّر حول روحها
ووحدها تسمعه.

وحدها تجمّع فتاته في لباس الوسادة منذ سنين:
حالة العمر المليئة ببرتقاليٍّ مشتعلٍ
وعلماتٍ بلا رنين.

مليئةً بالضفادع والأمراء والهمس
 وبالتوّكل وأيام كالثبيزة

. كبرت في ظلّ الجدار دون أن تشق بالأرض والشمس.
لو كانت أمي تدري أتنا سنقلع شوكتنا بأيدينا بعيدين عنها
لما تعجلت باقتلاع الصبار الذي أحاط بيتنا

ولعلمنا الكتابة على الواحه على مهلنا.
لو كانت تدري أننا سنتعثر هكذا في خطانا
لعلمنا الاهتداء بالتمل
وبفشل القمر في أن يضيء وحده
لا بقلوبنا وببعضنا.
أو على الأقل لعلمنا المشي قبل الكلام.
لو كانت تدري أننا سنكون كعبها المشقق والجائع للحياة
لحكته بحجرٍ منذ ولدتنا منه
ولعلمنا أن ترك جلدنا الميت خلفنا.
صدقًا، لم نخزّلها
لكتنا لم نخرؤ على النهوض من النوم قبلها
كي نحرّب الصباح وحدنا.
لم نبتعد عنها كما ينبغي
حتى تقدّف حصالتها فتتحطم أمامنا.
ما زلنا نتلقّفها وندخُر فيها سرّا
وما زلنا لا نستطيع الشبات على حبل غَسِيلها.
لو بقينا كالملاقط أو على الأقل كالعصافير
ليلةً أو أقل عتمة لهذا قلبها
ولتركت وجه الوسادة منشوراً إلى الأبد
ذاكرةً بيضاء ينقط منها النبض الكاسد والغياب
وكيساً لا «يُروّب» أحدٌ فيه حليةٌ غيرها.

الله وقلبي

الله وقلبي مكانان عاليان
كخزانة الدواء في منزلنا.
بعيدان كروفوف كتب الدين.
لصيقان مثل نظاري وعيوني.
أبيضان مثل فراشي.
باردان كل شيء.
ونظيفان كسكين مطبخ جديدة.

حَوْضُ الْحَمَّام

.١

لِحَوْضِ الْحَمَّامِ
مِيزَةٌ عَلَى الْقَصِيْدَةِ.
فِيهِ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكَلِّمَ نَفْسِي تَحْتَ الْمَاءِ
دُونَ أَنْ تَقَاطِعَنِي التَّوْقُعَاتُ مِنِّي
أَوْ كَلْمَةً لَا سِيَاقَ لَهَا
مُثْلِ «الْغَرْقِ».

.٢

فِي حَوْضِ الْحَمَّامِ
أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَقِيَّاً الْكَلْمَاتِ
وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً فَوَاحِدَةً
كُلُّ حَقِيقَةٍ عَلَى حَدِّهِ
وَكُلُّ وَهْمٍ عَلَى مَيَادِهِ.
أَغْسِلُ الْكَلْمَاتِ
مِنْ مِشَاكِلِ الْعَائِلَةِ وَالْعَمَلِ.
وَأَدْعُهَا تَطْفُوا عَلَى احْتِمَالَتِهَا
كَيْ أَمِيزَّ بَيْنَهُنَا
وَأَصْنِفَ أَسْمَاهُنَا حَسْبَ قَدْرِي
عَلَى الْهَرُوبِ مِنْهُنَا.

.٣

الكلمات التي آذتني سأغرقها.
الكلمات التي لا توحّي بأي شيء
يشبه القلق أو الكذب
سأعلّمها السباحة
وأدعك ظهرها بالصابون.
سأدعها تهرب إلى قدرها في القصائد
أسراباً من الفقاعات النظيفة والملساء
الفضيّة والشفافة والثرارة،
كي تنجو من الندم
والعيش تحت أظافري.

أمِي والليمون الأسود

.١

قدَرُ حامِضٌ
مثَلَ ليمونٍ أسودٍ
نضَجَ في حديقةٍ بيتنا.
شَفَاهُ كثيرةً مصمصٌ بحسرةٍ
على ما أصابنا.
وكلامُ كثيرٍ أحاطَ بيتنا
تركه أصحابه حولنا
وذهبوا إلى شؤونهم آسفين من أجلنا.

.٢

الأغصان كالأفاعي
وصلت نوافذنا
مثقلةً بالليمون الشرس.
نبَحَ على الزجاج حتى انكسر.
اقتحم غرفَ البيت المليئة
بالدفءِ والنظافة.

هاجمَ قلوبنا وكتب البيت المنثورة حول نعاس أبي.
وغضَّ العابنا صديقة نومنا
انتظار جدّي المطمئن للموت
وخوف أبي السعيد علينا
وعلى ثيابنا أن تصيبها
قطرة زيت أو حسدٌ حامض.

.٣

الليمون الأسود
شم أيدينا كلنا
ولعق جوفنا ليرى قاعنا.
فتَّش أحلامنا كلنا
وحدق في كلّ كلمة لم نقلها.
نبش عناقنا
وقلّب قلوبنا ألف مرّة
ثم اختار أكبر خوفٍ فينا
وأكبر حُبٍ فينا.
إختار أبي
واختطف أخي الصغير.

.٤

أمي سريعة البكاء
لكنها لا تجيد الدموع.
أمي بكت عيوناً جديدة
ترافقنا بها إلى كل مكان.
أمي بكت مخاوف جديدة
واقتراباً شديداً لا بتعادنا عنها.
أمي بكت أخوةً آخرين لنا
سقطوا من عيونها جميلين
كآلاتي من أجلهم.

.٥

أمي
كانت أول من تمالك ملحه.
صبرت على صبرها
ولمت ما آلمنا:
إطراق أبي الطويل كشارع بلا أضواء
صمتُ جدّتي المستسلم لковابيس اليقظة المؤلمة
الكلماتُ العرجاءُ والمشوهةُ عن الحزن والقدر
وفضاءُ البيت الذي ضاق فجأً

السَّخَ وأَلْمَ دُفْعَةً وَاحِدَةً.

أَمِي

كانت أول من نَهَرَ الليمون

خارج بيتنا

ككلاب وسخة وغريبة.

أَمِي

جمعت بقاياه من تحت وسائلنا.

نظفت أسناننا من فضلاته.

ثم طبخته في طناجر بيضاء

وهيأت لنا منه مربي ليمون

طعمه حلو كحضور أمي

وله مذاق كبرياتها.

.٦

لم نعد نخشى الحموضة

لم نعد ننتظر الليمون

فأمِي تصلي لأجلنا

وأبِي تعلّم الفرح من جديد.

أمي أنجبت ثلاثة أخوةٍ

كلّهم يُسرعون إلى البكاء

إذا فرحوا أو حزّنوا.

وكلّهم لا يُحبُّونَ الحديثَ عند الطعام.

كلّهم أمِي تخبيهم عميقاً في قلبهَا.

أَلآن

لِيمُونُ كَثِيرٌ يُحِيطُ بِبيتنا
وَدَوْدٌ وَمُسَالْمٌ.

أَلآن

أَهْلُ بِيتنا يُحِبُّونَ عصِيرَ الليمُونَ.
أَمَا أَمِي فَتَقْضِي جُلَّ وَقْتَها
تَخْلُطُ الليمُونَ بِالْمُزِيدِ مِنِ السُّكَرِ
وَتَتَذَوَّقُ مِنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
عَسَاهَا تَجُدُّ فِيهِ
طَعَمَ شَفْتِيُّ أَخِي الصَّغِيرِ.
وَتُقْشِرُ حَبَّاتِهِ بِحُنُونَ يَدِيهَا
عَسَاهَا تَجُدُّهُ
فِي بَدْلَتِهِ الْكَحْلِيَّةِ نَائِمًا
فِي قَلْبِ الليمُونَ.

التوقعات والذكريات

التوقعات والذكريات طريقان
لم يدرّبنا أحدٌ على العودةِ منها.
كلُّ الذين سألونا عن المستقبل
لم يقدموا إجابةً واحدةً عن الماضي.
وكلُّ الذين نذكّرهم لم يتبقَّ أحدٌ منهم
كي نتأملَ به خيراً أو خوفاً علينا.
الوقت الذي ذهب لم يكن يوماً من ذهب.
وهذا الصمتُ المتجلّدُ على عتباتِ الحارةِ
ليس أكثر من كلامٍ بطيءٍ
أو إشارة طريق:
هنا يطلقون الرصاص في الليل
نكایةً بالتهارِ والأمل.

ملاقط الغَسِيل (١)

إلى أخي باهر، كي تحب أخطاءك وتشق بقلبك من جديد.

المقط الأول

الوقت إبرة التوقعات

ووالدك عيناك.

فمن أنت؟

هل أنت القماش أم يداك؟

وهل هذا الخيط أفقٌ

أم رملٌ من بقائك؟

المقط الثاني

أحياناً

«إسبرسو» واحد على الطاولة

خيرٌ من عشرة عصافيرٍ على الشجرة.

أحياناً

كرسيٌ أمام الحائط

خيرٌ من نافذةٍ على البحر.

أحياناً

فيلم حركة

خِيرٌ مِنْ قَصِيدَةٍ مِيَتَةٍ.
أحياناً
أبُوك على حَقٍّ.

الملقط الثالث

الأهُمُّ مِنْ الْحَلْمِ
أَنْكَ مَا زَلْتَ تَفَرَّقُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
مَتَى يَنْتَهِيَانِ وَيَبْدَآنِ
تَمَامًا.
وَحْدُهُ الْأَفْقُ يَتَسْعُ بِالْحَلْمِ.
أَمَا حَدُودُكِ
فَهِيَ الْأَرْضُ الْمُمْتَدَّ بَيْنَ يَدِيكِ
لَا تَتَسْعُ إِلَّا بِالْفَلَاحِ
وَرِعَايَةِ الْمَاعِزِ
وَالْجَرْوَحِ وَالْبَرَاءَةِ.
فَلَا تَخْسِرْ نُدُوبِكِ.
وَاخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا
وَعُدْ إِلَى نَفْسِكِ وَوَالدِيكِ.
لَكِنْ أَقِمْ فِي قُلُوبِنَا بِيُوتِكِ
وَسَنَمْسُحْ أَقْدَامَنَا جَيْدًا قَبْلَ الدُّخُولِ إِلَيْكِ.

الملقط الرابع

الشعرُ

جغرافياً اللذوب
والذاكرة لغتها.

الملقط الخامس

كُن واقعياً
مثلَّ أيّ ملقط غَسِيل.
وكن خيالياً
مثلَّ أيّ بَابٍ مُوارب.
ربما تحتاج حبلاً من تقوّلات الجيران
وثيراً ينقطُ منها الأرُقُ
من أجل أن يتريث عنده عصفورٌ
أو أن تمسكك بأسنانها أَمِي .
ربما تحتاج عملاً مُرجحاً غير أن يمرّ منك أصدقاوك
وعتبةً أقرب إلى النَّمل
من أجل أن تترىث فيك مفاتيح أبيك
او أن تحلم بك نافذةً من نار.

الملقط السادس

هذا الرجل المُسن ذو اللحية البيضاء
الذِي سأحدثك عنه في هذه القصائد
إسمه «الأمل»
فخذ بيده
ولا يغرّك عجزه وتعثره.
أنظر إلى فتوة أصابعه
كيف تمسك بخيطٍ من الدخان والمطر
يجر به خلفه النجوم
وزغاليل الحمام التي سرقْتها في طفولتك.

الملقط السابع

لا أمدح غيابك
لكنني أفهمك الآن أكثر.
الحقيقة أنك أشجع مني
في الحديث إلى نفسك كقوس قزح
أو حبة ندى.
 وأنك أمهّل إخوتك في حب والدينا
كأنهما باقيان أبداً بيننا.
 كنت أشقي بالدخول إلى قلبهما
 فأجدك هناك

وكان هو بسهولةٍ يخرج إليك
فلا يجدُ سواي .

الملقط الثامن

ما من طائرٍ يخلقُ أعلى مما ينبغي
أو يبتعدُ أكثرَ مما يجب
ما دام يخلقُ بمناحيه
وما دام يستطيعُ العودة
إلى دياره متى يشاء .

الملقط التاسع

التفوقُ والتجديُّ والتغييرُ والتميزُ
ليست إلا أشكالًا جديدة للوحدة .

الملقط العاشر

إذا هدّدك زورقٌ بالماء
هدّده بالغرق .
وإذا هدّدتكم مظلةً بالسماء
هدّدها بالبلل .
لكن

إذا هدّدتَكْ أُمُّكْ بحبّها
هدّدها بحب إخوتكْ.
وإذا هدّدَكْ أبوكْ بصبره
هدّده بأحلامِكْ.
فلا تخُفْ من السفر
ولا يُروّعكَ المطر.
ما دام أبوكْ أسرع زورقٍ
لنقل البرّ إليكَ
ولإيصال ليكَ للشروع.
وما دامت أُمُّكْ أوسع مظللةً
تبيت تحتها الصلواتُ لأجلكَ
وتعلو نارُ طموحكَ
كُلّما أذكتها الدُّموع.

الملقط الحادي عشر

الوحدةُ
ليست أن تكون وحدةً
بل أن تكون كثيراً على نفسِكَ
مثل حبة الرُّمان.
وأن تتوحدَ مع غيرِكَ
كأنّه يقطفُكَ
وكأنك حبةٌ صَبِّرٌ.

تناديك الوحشةُ

فلا تسمعُها

وتردُّ عليها

فلا تسمعُك.

بينكما الرمانُ والصبرُ

ونملٌ لا يعبأ بكَ.

يحبُّو على قلبك

ويسرقُ الوقتَ على مهله

بينما أنت ترقبُه بطمأنينةٍ

لأنَّ بيتهُ بيتك.

بقليلٍ من القوةِ

وكثيرٍ من المعرفةِ

يجُرّكُ إليه

مثل حَبَّةٍ تينٍ سقطت عن الشجرةِ وحدها

طواعيةً

وحبًّا بالسفرِ.

المقط الشاني عشر

الحلمُ

قميص الليلِ.

وجهُها

زرة المقطوعِ.

الملقط الثالث عشر

لا تُغرك تلك الألفة بين الأجنحة والجهات
فالعصفوريُّ بينهما «غريب الوجه واليد واللسان».

الملقط الرابع عشر

عندما تشدُّ وترك
وينحني القوسُ بين يديك
عندما تبصرُ هدفك
ويستقيم سهمُك أمام عينيك.
تذكر أنَّ والدنا لم يعلمنا الصيد
بل مهن الزراعة.
تذكَّر أنَّ الصبر حقلُك الأخضر
إذا نثرت فيه قمحَك.
والحبُ حدودُ أرضك
فسرُ فيها عمرَك
إلى حيثُ الشجرُ أهمُ من الشمر
الطموحُ أهمُ من الجموح
والرفاقُ أهمُ من السباق.
سننتظرك ولن نترقبك.
سنسأل عنك ولن نسائلك
وستتعلَّم أسماء النباتاتِ من جديد
وكيف تَتَشَافِي الطبيعةُ وحدها.

المقط الخامس عشر

هلّ تغضب لأنّي أستعيّر حزنكَ
حين تغيب عنّي الكلمات
وحيث يشرق قلبي على سكينِ المطبخ.
حسْبُك أن تعرف
لا تبيت كلماتي عند أحدٍ غير إخوتي
ولا تذهب سكين المطبخ إلى عملها
إلا متأخرة.

المقط السادس عشر

عمرُك
سنيك وسنينُ أبيك.
أعوامُ أمّك
عمرُها وحدها.

المقط السابع عشر

أظنُ
لا مُتّسعَ لمزيدٍ من الحكمَة بيننا.
هـما شجرتان.
تجلسُ أنت فوق واحـدةٍ

وأجلسُ أنا تحتَ الأخرى.
وهما أبي وأمي بيننا.
تُعلقُ من أجلِي نجمةً
فأضيئُ بها أخطاءك.
وأجدُ من أجلك بئراً
فتشقُب بحكمتي الزائفة دلاءك.
لا أنا أرى الشمال فأمضي إليه
ولا أنت تهتمي للماء فترتوي منه.
وهما أبي وأمي بيننا
يزرعان الأشجار
ويبحثان عنّا بينها.

الملقط الثامن عشر

أنت علمتَك أصابعك
أنَّ الخسارة في الحقيقة ليست بالسوء الذي نتخيله
قدراً أو وباءً أيضَّ من عند «سراماغو».
أمّا أنا فلم أجد من يعلمني أنَّ الخسارة مهارةً
سوى «الملك لير».

المقط التاسع عشر

عندما تهداً الريح
تهواى الجهات على بعضها
ويسكت الهروب.
ليس أبعد من هذا الأفق
إلا أنا

. وماءٌ على وجهه الموت والهروب.
يختلطان في وعليه
فانثرني يا ريح الدروب.
رُدّيوضوحِي
وأعيديني ثمراً نبوياً
على شجرة بلا ظلٍ أو ذنوب.
يعدها الحطابون
ويخشها العُروب.

المقط العشرون

من قايس صدف البحرِ
باقراص الإسبرين
لم يفهم الصدقة التي بين الرمل والهواء.
من حزن أكثر مما كان يسبح
لم يعرف لون الزرقةِ

قبل أن خالطها الماء.
ومن يكذب أكثرَ مما يتذكّر
ستنتهي حياته مثل أي طاحونة لم تفهم «دون كيشوت».
مجد كرسي خالٍ أمام البحر أو الندم.
سيمضي من الدنيا
دون وهي واحدٍ
يستحقّ الموت من أجله
تحت قلاع الغربة أو الشطرنج.
سيمضي دون أن يصدّقه الناسُ
أن الطواحين قادمةً
والأفضل أن يستعدوا لها
بقراءةِ الشّعر
والتواضع أمام القمح
والأساطير القديمة.

الملقط الواحد والعشرون

سيتأخرُ النهارُ
إذا لم تتسع للليل.
فلا تُعول على الشمس كثيراً
تلّك أخفُ من القصيدةِ
وأشقلُ من طلب الرحمةِ.
ستستيقظ ذات صباحٍ

ولن تدرِّي من أين جاءَ العالم.
ولا بأس عليك.
دائماً هناك احتمالات
نستطيعُ الانتماء إليها
أو رعايتها مع الماعز والروتين.
وأنْتَ لم تُهاجِر بعدُ في اللُّغة
ولا خُذلْتَ أكثر مما خسِرْتَ.
لا بأس عليك
بإمكانك أن تُحبَّ أخطاءك
كما هي
عشرة عصافيرٍ على الشجرة
أو مجرّد «حلم ليلة صيف».

المقط الثاني والعشرون

حصانُ الشطرينج الذي راهنتَ عليه
لم يُعدْ من توقعاتك بعد.
باستطاعتك أن تخسرَ أكثر من لُعبةٍ
لكن في النهاية
عليك أن تربح نفسك.

الملقط الثالث والعشرون

بإمكانك أن تنتظريني
وبإمكانني أن أحبك أكثر.

لكنَّ الأرق يمضي بك إلى مفترقات أجهلُها.

ولا بأس أن لا تصل
ما دُمت لا تنكر حقنا في انتظارك.

فلا تحزنْ أكثرَ مما تستطيع
واغمض عينيك وحدّق بالذين ذهبوا منك
وستراهم ما زالوا يبتعدون.

هل تراهم؟

مثلما أنا أراك عنقوداً من العنبرِ
ينفرطُ أرقاً كلّما مسَه حنانُ أبيه الملاح.
وعسالاً إذا هزَّه صمتُ أمّه الجارح.

هل تراني؟

لست نهراً كي أضيعك ميّي
ولست ضفتيك كي تنسى زوارقك عندي.

أنا أقلُّ من ذلك
وأنت أكثرُ من سيف.

فلا تنكسر

ولا تعترضْ
عما تذكره

وما تنساه من دمع أمّك

«تلّك مهنتها الجميلة»
وتلّك مرآتي
أعتذر فيها لك إذا آذتك ذكرياتي
وأنسي طريقي لتحتار فيها أكثر
كيف صارت أيامك من قسماتي.

المقط الرابع وعشرون

الأمل

هذه العظاءةُ الجميلةُ
لا نملك إلا أن نربيها بيننا
وأن نبحث عنها كل صباحٍ
التوقعات

هي الأغصان الهشة التي تقفُ عليها
فلا تبحث عنها هناك.

كي لا تسقط

أو تنتظر بلا طائلٍ.
فلا تكتب المزيد عن الخريف
وأكرة الباب.

ولا تشرب مزيداً من الغرق
والإنطفاء على عودٍ من الموح والثواب.
لا تلمع من جديد الأجراس التي بشرت بك
ولا تقف عاريًّا

أو غائماً وحدك أمام الغياب.
لا تحرس امرأة الحصى
ولا تتحدث إليها كأنها مفصلٌ من المطر
وكأنك بابٌ من تراب.
لا تتوقع
ولا تذكري
وستطرقُ العظاءةُ ببابك بلا أسباب
إملاً بالخيز راحتيك
وستأكلُ هي من يديك.

الملقط الخامس والعشرون

خذ الملقط بقوّة
وعلق هذا الغسيل أيّنما تشاء.

ملاقط الغَسِيل (٢)

إلى أخي ممدوح، كي تصالح مع أعدائك وتعلّم المشي من جديد

ملقط الحارة

نعم ،

كذب أهلك عندما أخبروك أنك ستكون مختلفاً .

نعم ،

مثل كل شباب الحارة
ستحب نفسك كما أنت الآن :

بلا أخطاء تستحق أن يلتفت إليها أصدقاؤك
أو أن تلاحقك عليها الشرطة .

ستشتري قطعة سلاح مثل الجميع

وسيتجدد وجهك مثلهم
من حكمة الشوارع والبراءة .

ستخسر خافتك نهائياً
وستسمى أي أربعة جُدران حولك بيتاً .

ملقط الخامسة

أنا وإخوتي
خمسة زوارق في بحر واحد.
خمسة احتمالاتٍ لقدر واحد.
خمسٌ على ثوابٍ في يد أبي
لخمسٍ شموعٍ في يد أبي.

ملقط الصدق والكذب

الذاكرة لم تعد كما كانت
متواطئة مثل سلٍم لا يُجدي إلا للنزول
للصدق أو الكذب.

لم تعد مراوغةً كما ينبغي لها
مثل أهم ألعاب الطفولة : الاختباء.
لذلك لست مضطراً
لاكتساب أصدقاءي القديمي من جديد
أو لتجغير هواجي،
ربما على إصلاحها فقط.
ربما حسبي أن أتعلم المشي من جديدٍ
وكيف أعبر النهار دون أذى.

ملقط التوازن

بهذا الكلام
قد أعودُ إلى حيث ما زلت تبدأ
وقد تكون تبدأ ما قد أعودُ إليه.
لا أعرف.

أنت دائمًا لا ترى إلا دمعك
ولا أرى أنا إلا خدك.
ترى سينينك أيامًا تمرُّ عليك وحدك.
وأراها ميزانًا بكتفينِ
لعمري وعمرك.

أزيد على كفتي حتى نتوازن بالحبّ
ويكتمل لكلانا الدربُ.
وتخفف أنت من ثقلِ كفتاكِ.
كأنك توامي

وكأن حصّتي من حصّتكِ.
لا أبرُّ ولا أفسرُ

أكتبُ كي أقول إني أصدقكَ:
وأنت ترتدي ملابسكِ

أنت عارٍ
وأنت تمدد يدك بشقّةٍ

أَنْتَ تُرْجِعُهَا بِخُوفٍ
وَأَنْتَ تُفْرِقُ نَفْسَكَ عَلَى أَصْحَابِكَ
أَنْتَ تَجْمِعُهَا.
وَأَنْتَ تَكْذِبُ
أَنْتَ تَتَصَالِحُ مَعَ نَفْسِكَ.
أَكْتُبُ كَيْ أَقُولُ إِنِّي أَصْدَقُكَ:
لَا أَنَا أَرَى مَا تَرَاهُ
وَلَا أَنْتَ تَرَى مَا أَرَاهُ.

ملقط الفراشة

فراشةٌ بطيئةٌ وسمينةٌ
تحطُّ على «البوريس» بدل الأزهار.
وستيقظُ متأخّرةً بدل أن تبَشِّر بالنهار.
فراشةٌ ثقيلةٌ الجناحين
لكنّها ما زالت تستطيع أن تصل قرميد البيت الأحمر.
هي أكثر من غيرها تعرف إمكانياتها:
كيف ترُّف بفرج على زهرةٍ قاحلة
وكيف تداوي مخاوفها من العراء المؤجل.
سترتاح قليلاً على خشبِ القرميد اليابس
وستصرُّخُ عليه
فيستعيد فوراً اهتمامَ النمل به
وظلَّ شجرة البرتقال القرية منه.
سترُّف من التعبِ
ثم تتوهّجُ مثل غزالٍ حلمتْ به ثم انطفأ.
ستعودُ نحو الساحة المكنوسةِ جيداً
مثُل قدرِ بلا آلة زائدةٍ.
ثم تحطُّ علَى مَثَلِ نسيته جديّ هناك
عما أخذته الريحُ من البلاط.
ستقرأ أخبار الطيور والثورات والسينما

ثم تتدَّرِّج طعم الكلام الأول على شفتي طفلٍ
وهو نفسه مثلٍ لسمنته ولشغطه
واعتداد الهَرُولَة على سطح الكتابة.

ملقط الهواجس

عندما تتأكد أن النهار صار قصيراً، ولا رجعة في ذلك
وأنَّ المساء أصبح نهائِياً جزءاً من طموحك وانتظارك
بإمكانك أن ترتاح قليلاً.

بإمكانك أن تناور روحك بقليل من أحلام اليقظة
وأن تننسق هواجسك بشكل الشجر الذي مات ظمماً إليك
سهلاً بين يديك أو شيئاً في رأس أبيك.
بإمكانك أن تسامح الناس التي لا تتقنُ الانتماء للعصافير
وأن تعبي الكلمات التي أتلفتها حين بحثت عن بلادٍ أبعد
من ظلالِ أصدقائك
بأفواهٍ لا تخيفك بل تحميك.

بإمكانك أن تدعَ الغيمة التي أسرتها في غرفتك
أن تأخذ هيأتها الأخيرة على طاولة المطبخ
وأن تصغرِي لأمكَّ باهتمامٍ أكثر مما يحتويك.

بإمكانك أن تقول لأخوك:
أن لا يتسرّعوا بحمaitك من الصباح
لله ذلك و لهم قلبهم عصفوراً
يقف على ساقٍ واحدةٍ ليرتاح
من قلق الأرض وجاذبيتها،
ومن إيقاعك السريع

حين يرتجل فضاءاتٍ لا نعرفُها
ولم نتدرّب على حِريتها.
بإمكانك أن ترتاح قليلاً
وأن ترخي الوتر المشود
بين شاشةِ الحاسوبِ في غرفتك
وفنجان القهوة مع إخوتك.
بين ساعاتٍ لا تتحرّك ولا تهربُ مهما صرختَ عليها
وأخرى خفيفةٌ ومراوغةٌ مثل «جاز» أسود
تبتسمُ إليك مهما أغمضت عنك عينيها.
بإمكانك أن ترتاح قليلاً
كي تنشر غسيلك أينما تشاء
وتنقني الملاقط والحبال والسماء.
بإمكانك أن تتزن على أيّ تريد
كي تعرّف على جناحيلٍ من جديد.
بإمكانك أن ترتاح قليلاً
كي تتعلّم ثانيةً لغةَ الهواء
وأن تنقرَ على زجاج العالم بقوّةٍ
دون أن ينكسرَ أو تتشظى فيك الشهوةُ للغناء.

ملقط الغياب

بعد كل هذه الأعوام
منحلول الجزئية للخجل والطموح والخوف من الظلم
تعلمتَ كيف تشتري حصتكَ من «الغياب»
وكيف تطلق الرصاص من مسدسِ مستأجر للليلةِ واحدةٍ
لتمتلك في السماء طلقةً تائهةً.
بعد كل هذه الأعوام
من خوض حروبٍ لا ناقة لك فيها ولا «سبوبة» مُقنعةٍ
تعلمتَ كيف تدير ظهرك
للسياسيين ودعاة الدين وتجار الفرح والصباة.
بعد كل هذا العمر من الصراخ في بئر بلا جدران
تعلمتَ كيف تنفعلُ من الكتب التي لم تقرأها
وتتظاهر بالتفاؤل
من رائحة القهوة حين يضيق بك المكان.
بعد كل هذه الأعوام التي لم تجد من يصلحها أو يسكنها
فهمت أنه في صراع البقاء سينتصرُ الخوف
وستسقطُ عليك السماء حين لا تجد من يرفعها.
فهمت أن سقوط أي شيءٍ من أي شيءٍ على أي شيءٍ
لن يؤذيك في شيءٍ.
لن يصيبك بضررٍ أكثرَ ربما من تجدد مخاوفك

واستعادة ألم الشفاء من كسور تذكرها
وأخرى نسيتها عند معارفك.

ملقط الشوارع

لا حاجة لترك مدینتك
بقاوک فيها أكبر هجرة منها
وأشد عقاب لها.
لكن، أرجوك لا تكسر بخاطر شوارعها تماماً.
عند مرورك بين البيوت والمحال التجارية
تذكّر أن هذا العمران من خسائر المدى القديم،
حيث لا كلاب ضالة ولا لافتات شرسة
أرجوك، لا تخذل شوارعها
لأنها سترى كيف تنتقم منك في المرّة المُقبلة:
إسفلت ماكر أو حفرة جديدة
أو رصاصة تائهة أو شرطيّ عنيف.
ستجد لك سبباً يكسرك
أو هدفاً يحاصرك.
أرجوك، لا تخذل شوارعها
تذكّر على كل رصيف رفيق
وأن لكل مفترق ذاكرة عن بيدر عتيق.

ملقط الحب

أن تحبّ

يعني أنك تسمّي سقوط العسل من السكين
على الخبز الناشف ضربة برقٍ
وأنك ترى في العسل أول زهرة للحنين
والنحل الأول لكل ما شفّ وما رقّ.
أن تحبّ

يعني أنك تستطيع أن تسترجع من كل نقطة عسل
راححة السهل وشمس الربيع.
وستعيد البرية والشذى الذي كان فيها يضيع.
أن تحبّ

يعني أنك لم تعد تكتثر بأنواع الرحيق والشمع
ما دامت حبيبك تصنع «عسل الملّكات»
كلّما فاجأها الضّحك أو الدمع.

ملقط الأمل

خُذ حاجتك من الأمل
وامض في الدنيا جناحاً
لا ذاكرة للسهم إلا ما حفظه الوتر.
تذَكَّر هدفك المدى مهما اتسَع أمامك
لا كائنات الغابة ولا الشجر.
حسبك أنك تنطلق وحيداً
وغامضاً نحو الأفق
مهما أغراك بوضوحة الشمْر.
هذا هجيِّجُك يا سهمُ
فحلق قريباً من التراب
كمال العُشِّ
حتى لا يخذلك العمر.
وابق قريباً من الأرض
حتى لا تصطادك السماء
أو يشدك لتيهِ البحر.
خُذ حاجتك من الحبِّ المُتقوس بين والديك
خرّن ما يكفيك من الاندفاع
وانطلق مثلما النهر.
من الماء إلى الماء

ومن التراب إلى التراب
انطلق
فأنت الآن حُرُّ.
أنت الآن، يا سَهْمٌ، حُرُّ.

ملقط الداء

يا رب خلصني
أخرجني من صدفتي
لا لؤلؤة ولا نبوءة
إنما بذرة قمح
قد تكون سبباً للمطر.
أنزلني عن صليب التوقعات
أملاً بسيطاً
أو حبة أرْزٌ بيضاءَ
قد تكون سبباً لعصفوريِّ
كي يقف على شبابِكِ مطبخنا
ليذكر أمي بحبي لها
وبعدي عنها.

ملقط السُّمنة

«لازم تخفّف أكل»

قولوا هذا للقمر حين يكتنِّزُ قبل المغيب
وللبحر الذي لا يشبع.

قولوا هذا للكون الذي يصرُّ أن يتسعَ
ولضوء النحافة ، ينطلق مني ولا يرجع.
«لازم تخفّف أكل»

يزنك أكثر من فِيم لم يعتد على طعمك
وتقيسك أكثر من عين لم تتسع لعمرك.
لو ذاقوا ماضيك

لأبصروا خفتك في الحزن
وسرعتك في الركض وحيداً بين الكلمات.
لو عرفوك حقاً
لفهموا حجمك الحقيقي.

لكن ليس بينهم من يذكرك أو يتوقعك.
ليس بينهم أيّ باع حلوياتٍ حقيقيٍ
بإمكانه أن يرى وجه الشبه
بين النجوم المرشوشة على سطح العالم
والسُّكر المتكسّر فوق روحك.
ليس بينهم تاجر واحد مثل «شايلوك»

يستطيع الشهادة على لحمك أنه حين يتهدّل يسأل:
«ماذا ستصنع بكل هذا العمر
الذي جمعته بعيداً عن الشوكلاطة؟»

ملقط زوجتي

لَا شَيْءٌ حَدَثَ مَا تَوَقَّعْتُ
فَشَلَّتْ حَتَّى أَنْ أَتَخَيلَ وِجْهِكَ كَمَا هُوَ الْآنُ:
أَنْتِ أَجْمَلُ وَأَنَا أَضَعُفُ.
لَا شَيْءَ.

قَلْتُ حِينَ عَانَقْتَكِ أَوْلَ مَرَّةٍ :
«أَتَرِينَ، لَا مُوسِيقِيٌّ وَلَا بَحْرٌ حَوْلَنَا،
مَحْرَدٌ عَنَاقٍ وَاضِعٍ وَكَثِيفٌ»
أَخْطَأْتُ... بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ السَّنَنِ مَعًا
«أَتَرِينَ، الْكَمْنَجَاتُ تَمُوجُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَا أَحْبَبُكَ أَكْثَرَ».

ملقط الخبز

سكينٌ تسحب نفسها على الوجه اليابس
لقطعة خبزٍ قليلٍ الحيلة.
تحمل على حدها صباحاً من الزبدة.
ما أشقي الخبز بلا فم ينتظره.
ما أشقاء تحت سكينٍ ناشفةٍ
لا تمسح عليه غير ذاكرةٍ من الحديد.

ملقط الرصاص

لا بُرهان عندي على إحساسِي بالعزلة
أكثر من مشاركتي في عرسِ الجيران.
شاهدتُ ابن جيراننا يطلق النار ويفتعلُ السعادة.
أطلّتُ النظر في مقبضِ المسدسِ المحشور خلف ظهره.
يتحسّسه كل حين ليطمئنَّ أن البحر من ورائه
والعدو من أمامِه.
ثم يختفي في العتمة
ليطلقَ الرصاصَ نحو السماء
على أي شيءٍ يُشبه الملائكةَ
أو رجال الشرطة أو موظفي الحِبَاية.
لو كانت "أم الفحم" بحراً
لأحرقَ كل السيارات فيها
حتى لا يعود أحدٌ إلى "تل أبيب" غداً.

غَسِيلُ الْأَيَّامِ

ماذا كان؟

ماذا كان في ذاكرة الطيور
غير الأشجار
قبل أن تعلمنَا القراءة والتحليق؟
ماذا كان في ذاكرة الأشجار
غير الغابات
قبل أن ضيّعنا بعضاً؟
ماذا كان في ذاكرة الغابات
غير الأرض
قبل أن عشقنا الوحدة؟
ماذا كان في ذاكرة الأرض
غير السماء
قبل أن أصبح كل واحدٍ منا إلهٍ ذاتٍ؟
ماذا كان في ذاكرة السماء
غير الحنين
قبل أن توقفنا عن الانحناء أمام النمل
وبدأنا نُصدق الطائرات؟

لو كان الخبرُ من الدَّقيق وحده

لو كان الخبرُ من الدَّقيق وحده
لَكُنْتَ حلمتَ بسبع سِنابِل أو مِناجِل
واسترحتَ أو أَفْقَتَ.
لَكُنْ السَّنَينَ العِجَافَ مَا زالتَ عَلَى وَفَائِهَا
تَتَجَدَّدُ وَتَمَدَّدُ.

وَقَمِيسُكَ الْقَوَهُ عَلَى وَجْهِ الْعَجَبِ
لَمْ يَخْمُرْ وَلَمْ يُبَصِّرْ.
لو كان الخبرُ من الدَّقيق وحده
لَكُنْتَ زرعتَ طالعَكَ فِي كَفَّ أَمِيكَ أو في طناجرِها
وانتظرتَ أَنْ يَمْتَلِئَ برجُكَ بِالْحَمَامِ وَالْقَنَاعَهِ
أَوْ أَنْ يَحْمِلَكَ أَيُّ رَغِيفٍ
إِلَى حِيثُ لَا حَصَادُونَ وَلَا جَائِعُونَ.

لَكُنْ السَّنَينَ العِجَافَ مَا زالتَ عَلَى سُخَامِهَا
تَطْحُنُكَ وَتَذْرُوكَ.
وَلَا رِيحَ تَهْبُّ فَتَأْخُذُكَ
وَلَا نَارَ تَعْلُو فَتَخْبِرُكَ.
تسقطُ مَكَانِكَ

كَائِنَكَ لَمْ تَرْحُلْ وَكَائِنَكَ لَمْ تَعُدْ.
تسقطُ مَكَانِكَ لِقَمَهَ سَائِغَهَ لِلتَّمَلِ وَالنَّصِيبِ

كما ينبغي لفلاح مجرّب على الخيبة.
عليه أن تضرّبه الشّمسُ بلا رحمة
كّلما حرث أرضه.
وعليه أن يأكل خبزه مالحًا
كّلما أغمض عينيه.

المَقْعُدُ الْأَخْضَرُ

فِي الْحَدِيقَةِ الْعَامَّةِ
مَقْعُدٌ يَهُبُ نَفْسَهُ لِلضَّائِعِينَ
بِلَا سَبْبٍ.

وَيَسْتَقْبُلُ الْعَاشِقِينَ بَيْنَ أَصْلَاعِهِ
بِلَا تَعْبٍ.

حَسْبُهُ قُرْبُهُ مِنَ الْأَشْجَارِ
تَحْيِيه بِظَلَالِهَا
فَيَتَذَكَّرُ مَعَهَا أَنَّهُ أَصْلًا
مِنْ خَشْبٍ.

فُصُولٌ

. أ.

إذا كنت تحب الشتاء

لا تشوق بمظلة تتسع لأكثر من شخص واحد.

فكراً كثيراً

قبل أن ترافق امرأة يبتل شعرها كلما هربت من قريتها

أو رأت القمر على حقيقته كوكباً مهجوراً ودائماً.

تلك شاهدت أفلاماً كثيرة بالأبيض و«عمر الشريف»

وتحب الرقص ولو تحت المزراب.

ستقول ما أحلى السير في المطر

وأنها لم تنحن أمام العاصفة

لأن الأشجار تموت واقفة.

لو أصغت إلى ضجرك

لسمعت العشب يزف الشجر على طوله وهبليه.

ولو نظرت في عينيك

للاحظت أنها تقف مثل «البعوض»

الذي تخبيه في جيبك.

لكنها لن تفهم أنك تسعد بالمطر وتمقť البلل

وأنك غيرت أكثر من شقة ومكان عمل

بحثاً عن يوم مشمس.

لن تفهم لماذا لا تثق بالكلام عن المبادئ
وب أصحابِ المقاهي عندما يسألونك عن أخبارك.
لن تفهم لماذا خطاك بِرَكُ وحِلٌ
لا يغمض لها جفْنٌ
ولا تقتفيك.
لو كنت تحب الشتاء حقاً
لأقفلت مظلتك ودافعت بها عن ثقوبِ الشجرة
التي وقفَتْ تثْرُوك تحتها
أو لشقتها خلسةً كي تنصرف عنك
إلى لا رجعةٍ ولا ليل.
لكنك أجبُن من ذلك
وهي أذكي من أن تلقي بغيومها بين يديك
دون مقدمات طويلةٍ عن الحريةِ والمجتمعاتِ الْذُكورية.
لو أراك تحب الشتاء حقاً
لتعلمت من البرق حكمته في الهرب والفتنة
دون أن يُدفعَ أحداً.
أو على الأقل لأنقنت السذاجة أكثر
كي تبتلَ كما ينبغي لحجرِ أملس
عليه أن يتذَكَّر الطوفان
بلا كلامٍ فائِضٍ
عن دواوِيرِ القديمة في الينابيع والمستنقعات.
وعلى جَوْفِه أن يتفتَّت سراً
دون أن يختَقِن وجهُه بالرُّطوبةِ

كُلما رأي يدًا تُقلِّت مظللةً أو إشارةً طرِيق.
حَجْرٌ عَلَيْهِ أَنْ يُتَقْنَ لغة العَشِّ حَتَّى يُثْبَت فِي مَوْضِعِهِ
وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى الجُذُورِ الَّتِي تُزَعِّزُ ثُقَطَهُ بِنَفْسِهِ.

.ب.

إِذَا كُنْتَ تَحْبُّ الرِّبَيع
أَنْصَحُكَ أَنْ تَصْعَدَ لِأَيِّ مَكَانٍ أَعْلَى مِنْ وَسَادَتْكَ
كَيْ تَشَاهِدَ قَوْسَ قَزْحَ كَمَا هُوَ مُجَرَّدُ أَطْيَافٍ مَقْلُوبَةٍ
زُوغَانٌ رَطْبٌ تَقَوَّسُ بَيْنَ يَدَيِّ النَّهَارِ.
لَكِنْ إِذَا كُنْتَ تَخَافُ كِيفَ سَتَكُونُ الدُّنْيَا بِلُونٍ وَاحِدٍ
فَهَذَا شَائِئُكَ
أَوْ شَائِئُ كُلِّ أَزْهَارِ البَلَاسِتِيكِ الْمَلَوَنَةِ فِي صَالُونِ أَمْكَ.
قَدْ تَظَنَّ أَنَّهَا مُجَرَّدُ أَسْلَالٍ مِيتَةٍ
لَكِنَّكَ لَوْ بَكَرْتَ فِي النَّهَوْضِ مِنْ نُومَكَ
لَرَأَيْتَ أَمْكَ تَرْوِيهَا مِنْ صَبَاحِهَا
وَتَحْكِي لَهَا قَلَّةً بَخْتَهَا فِي تَرْبِيةِ «القرنفل» أَمَامَ الْمَنْزَلِ.
لَوْ كُنْتَ نَبْتَةً ظَلِّ لَفَهْمَتَ أَنَّ أَزْهَارَ البَلَاسِتِيكِ
لَا يَعْيِيْهَا أَنَّهَا بِلَا رَائِحَةٍ
بَلْ أَنَّهَا لَا تَذَبَّلُ.
لَذِلِكَ إِحْذِرْ مِنَ التَّنَزُّهِ بِمَفْرِدِكَ.
كَمْ يَا سَمِينَةً قَطَّفْتَ أَعْصَابَكَ
حِينَ ظَنَنتَهَا لِلرِّزِينَةِ فَقَطْ؟
كَمْ ضَبَعَا أَلْزَمَكَ الدَّرُوبَ الطَّوِيلَةَ إِلَى بَيْتِ وَالْدِيكَ

حين حسبته يعلّمك الصبر وأسماء البرقوق؟
كم عصا علمتك السُّخرية والكتابة على عجلٍ
حين حسبتها سيفاً أو حساناً؟
لذلك لا تثق بِرٌّ لا يتسع لأخذاء العصافير
في الإهتداء إلى أعشاشها.

وتذكرُ أن أي غصنٍ يوصُدُ عُشاً «سيعلم على جلدك». وأي حديقةٍ عامَّةٍ تنبذ منها الشوم والقرّيص والحمضيات
ستهرُب منها الشّمس قبل الظّهيرة
وستصبح قفصاً كبيراً للحمام السمين
يتعلّم من نوافيرها التحليق على الطّالع والنّازل
دون معنى.

كذلك إذا ما زلت تثق بجدوى التفاؤل
 وأن الأخضر يرمزُ للخصوصية
ستضحكُ عليك «أمة لا إله إلا الله».
أما أنا فسأبتهج مثل حاكورةٍ مهجورةٍ
وسأذّكرك بكلِّ الذين أحبّوا الربيع قبلك.
رواغتهم الأرض حتى لم يتبقَّ تحتهم ظُلُّ عاقل.
حاولوا أن يكونوا سهلاً أو نزهة جبلية وفشلوا.
ساروا في الطبيعة حتى حفيت قلوبُهم
ولم يصادفوا حتى غزالاً واحداً
أو نبعاً واحداً بلا تذاكر دخول.

لذلك وقبل كل الكلام السخيف عن حقّ البراعم بالحياة
على حسابِ انسجامك مع نفسك وخدوشِ أصابعك

تعلّمْ كيف تُفْتَحْ وحدك.

فتَحْ وحدك

قبل أن يُلْقِحَكَ نَحْلُ الْعَالَمِ غَصِّبًا عنك.

فتَحْ سَرّا

قبل أن يُضْمِكَ حَمَّةُ الطَّبِيعَةِ لِلأَرْضِ المَشَاعِ.

وإذا كنت تحبّ الربيع حَقًّا

فأقطفْ نفسك بنفسك.

.ت.

إذا كنت تحبّ الصيف

إنْتَبِهْ أَنْكَ تضايقُ الدُّبَابَ تَمَامًا مُثَلَّمَا

يذَكِّرُكَ بِأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنْهُمْ يَنْتَظِرُكَ.

لَا حِظْ أَيْضًا أَنْ هَرُوبَكَ مِنَ الْغُرْفَ الْمُكَيْفَةِ

هُوَ حَجَّةٌ عَلَيْكَ لَا عَلَى أَرْصَفَةِ الْإِسْفَلِتِ.

وَأَنْ بَحْثَكَ عَنْ شَاطِئٍ خَالٍ

لِتَسْبِحَ هَنَاكَ وَحدَكَ بِكَامِلِ مَلَابِسِكَ

هُوَ مِنْ بَابِ الرَّمَلِ

أَوْ بَابِ مَا يَحْلُو لِلشَّعَرَاءِ أَنْ يَتَخَيَّلُوهُ عَنْ أَنفُسِهِمْ.

إذا كنت تحبّ الصيف حَقًّا

كيف ستَبِرُّ أَنْكَ مَا زَلتَ بِلَا حَرِيقٍ

بِحَجمِ مُوهَبَتِكَ فِي اخْتِلَاقِ شَفَاهِ جَدِيدَةِ لِكُلِّ كَلَامٍ قَدِيمٍ؟

بَعْدَ كُلِّ هَذَا التَّسْكُعِ بِلَا طَائِلٍ

بَحْثًا عَنْ غَرُوبٍ مَنَاسِبٍ لِأَكَادِيْبِكَ

كيف ستبرُر سمنتاك وبياض ساعديك؟
وبعد كلّ ما وهبته للشّمس من حُبٍ ومشمس
كيف ستبرُر كثرة العقارب
تحت أيّ حجر تقلبه بحثاً عن صورتك؟
كيف ستبرُر أن الباقي من ظلّك
هو هذه العينُ الموحلة تحت نعلك؟
بعد كل هذه العصيّ التي استندت عليها
كيف ستبرُر كثرة الأفاعي حولك
وأنك لم تشقّ بحراً أوسعَ عليك من قلبِ أمِك؟
لذلك أنصحُك إذا غلّت عليك تذاكرُ السفر
وسئمتَ موسيقى المجمّعات التجارية
التي تحرّضك على جيوبك
وتتفتعلُ السعادة في داخلك.
أن تنام أكثرَ ممّا تمشي أو تتسوقّ.
ترهّل بسلامٍ كأيّ صحنٍ بطيخ
تنساه أمام التلفزيون.

تمَّ

لكن لا تقتربُ من حافتك.
واسعدْ بغارِك مثل رفِ مهمل.
إذا كنت تحب الصيف حقّاً
بإمكانك أيضًا تنمية اهتمامات أكثر إثارة
من متابعة سوق الكاسيت وأخبار الكوارث.
مثلاً كأن تَعِد نفسك وتخذلها

كأن تمد ذراعيك أبعد من أطرافِ أصابعك
أو كأن أن تُفرغ «الفريزر» من الثلوج المتراكمة فيه
منذ سنين عدّةٍ من الحر الكاذب.

قد تعثر فيها على فرِّجٍ مؤجلٍ
أو شمس باستطاعتها أن تشرق دون أن تتعجلَّك.
وقد تجد أيضاً حبةً عنِّي تجلَّدت على فِيمَ أحَبَّها.

.ث.

إذا كنت تحبُّ الخريف.

كلانا يؤمِّن بالصبر رغم أنه مفتاحٌ مكسور.
ويفضل الصدق رغم أن الكذب يعبرُ عنه أفضل.
كلانا يعرف أن الورق يسقط ليس تعباً أو تضحيَّاً
بل مللاً ونكایة بالشُّعراء.

كلانا عرف باكراً أنَّ حصةَ الطريق من الورق
ليست أقلَّ من نصيبِ الشجر.
إذا كنت تحبُّ الخريف حقاً
فأنت تعرف بقيةَ القصيدة.

خيبة أمل

الصيف الماضي

قلت إن نوافذ العالم كلها

لا تعنيني

لأن القصيدة لي وحدي

ولأن السماء أهم.

لم أعرف حينها

أن هذا الصيف سيكون بهذه القسوة

وأن الكتابة ستتضيق إلى هذا الحد.

الصّيف (١)

.١

في الصّيف
تعاقبني قصائدي
على كثرة أبوابي في الشتاء.
تمعني من الخروج
من أي شيء لأي شيء.
أبقى حبيساً خلف أقلامي
أهش الذباب عن أوراقي
وأستجدي مكيفي القديم
حفنة غزلان باردة.

.٢

في الصّيف
تعاقبني قصائدي
على حرية أصابعي في الشتاء.
تجدها واحداً واحداً
وليس لي إلا أن

أُحصي على سوط الحر
محاولات الكتابة:

نسيب حرون

كنافذه تأبى الفرار مع نسيم البحر.

غزلٌ سمينٌ

كمقهى مليء بلاعبي الورق وغروب المرافىء.

وصفٌ مُترهّلٌ

كابتسامة تؤوي الظهيرة أو موجة أخيرة.

حوارٌ مُمِلٌ

كوجهٍ لم يسافر أبعد من أنفه أو من أمنية لوز.

وإستعارة حمقاء

كصوتٍ رطبٍ يبادل احتمالاته لقاء نهرٍ غادر.

.٣

في الصيف

سأحاول أن أبادل أحلام اليقظة

بقصيدة عن شاعر يحاول الكتابة

عن علاقة البحر بالنوم فوق الأشجار.

.٤

هذا الصيف

ستضيع السماء الكثير من ضوئها علينا
لذلك فليشعل كل واحد منّا
من أجلها شمعة.

هذا الصيف

سيضيع البحر الكثير من مائه علينا
لذلك فليذرف كل واحد منّا
من أجله دمعه.

هذا الصيف

سأضيع الكثير من قصائدي
على محاولات الوفاء والموج.

الصّيف (٢)

في الصّيف
الناس لا يحبّون الصّيف
ولا يحبّون أيامهم في أيامه.
في الصّيف
الناس لا يحبّون الشعر
ويرون غيابهم في غيابه.
في الصّيف
يشتاق الناس للشتاء
ولقلوبهم في أمطاره.
في الصّيف
يحدد الناس مواقفهم
ويختارون مواقعهم
تجاه أنفسهم
وتجاه أي شيء لا تذيبه الشمس.
هذا الصّيف
اخترتُ ألا آكل في مطاعم الوجبات السريعة
ابتعث قلباً شتوياً لساعات المساء
وانتقى أن أظلّ نافذة
في بيت الكتابة

تُطلُّ على امرأةٍ تُسْقَع جليدها
على شاطئ الندم.

الصيف (٣)

صيف مؤلم
الليل فيه ضيق كحنجرتي
والحلم مالح كصوتي.
صيف مؤلم
أفقد فيه صلتي بالمرايا
وأضيع احتمالات الوضوح والكحول.
صيف مؤلم
لن أبحث في مساءاته
عن أصدقاء عابرين في المقاهي
ولن أجالس البحر كثيراً
حتى لا أرى وجهي كله.
هذا الصيف
لن أغني «يا مسافر وحدك»
حتى لا أسافر
لن استمع لعبد الوهاب إطلاقاً
حتى لا أحب القمر كغيري
وحتى لا يعود أحد إلى.

قال المطر للغيم

.١

قال المطر للغيم:
أنا ابنك
ما دمت أرفض السماء
وما دمت مخلصاً للأرض.

.٢

قال المطر للغيم:
أنا منك
ما دمت أسقط من علوك الناعم
ووجداً من الضباب ورذاذاً من الرؤى
كي ينتهي الورد للصبح
والشمس لمرايا الندى.

.٣

قال المطر للغيم:
أنا مثلك
قد تسمّيني الرياحُ السدي
ما دمت سأموث في البحر أو على أكف الهوى.

وَمَا دَامَتِ الْأَرْضُ سَتْجِري نَحْوِي
فَلَا تَجِدُ مِنِّي سَوْيَ سَرَابٍ مُّمْزِقٍ
وَدَخَانٍ يَزُوغُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالصَّدَى.

.٤

قَالَ الْمَطْرُ لِلْغَيْمِ:
أَنَا مِنْ سَتْكُونُ حِيثُ أَكُون
مَا دَمْتُ لَا أَخْلُصُ لَحْرِيرٍ غَيْرَ الْجَهَاتِ
وَمَا دَمْتُ أَشْتَاقُ الضِّيَاعَ
مِنْ كُلِّ قَلْبِي وَفِي كُلِّ الْذَّكَرِيَاتِ.
كَيْ أَمْلَأُ فِي الدُّنْيَا أَيَّ شَيْءٍ
وَأَفِيشَ فِيهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
حِيثُ لَا شَجَرٌ
سَوْيَ مَا أَوْرَثْتُ الطَّيْوُرُ لِلْغَابَاتِ
وَلَا غَنَاءً
سَوْيَ مَا يَمْدُحُ بِهِ الْمَاءُ النَّايَاتِ.

.٥

قَالَ الْمَطْرُ لِلْغَيْمِ:
أَنَا مِنْ كَنْتُ وَكُنْتَ
مَا دَامَتِ يَدُ اللَّهِ تُبَاغِتُكَ بَظَلَّهَا الطَّوِيلُ
وَتَقْسُو عَلَى مَكَانِي بِمَرَاوِغَاتِ الرَّحِيلِ.
كَيْ لَا يَؤُولُ السَّفَرُ هَرُوبًا

سوى الغيابات والعيون.
وكي لا تفسرُ الرياح قلوبًا
سوى المصادفات والجنون.
ما دام القلبُ على ظله
وما دام الظلُّ على قلبه.

.٦

قال المطر للغيم:
هُم الشعراُ وحدهم
إرتووا من الجسور برؤياك
واكتفوا من الانهار بلقياك.
وحدهم فهموا أن المطر كتابةً
والعشبَ قصيدة.
وحدهم فهموا أن الترابَ قريبٌ
والغيومَ بعيدة.
وحدهم يظلّون دون أثر
وحدهم يقتفيهم الدُّمُ ويسمعون المطر
وحدهم يسمعون المطر
(هل تسمع؟)

بين الانفاضتين

.١

بين الانفاضتين
لم يعد لدى ما أفقده سواي
وما من قصيدةٍ كافية.
لم أتعلم الثورة لكنني تعلمتُ السخرية
وأن أخفّف عن حزني بادعاء الحكمة.
صرتُ أكظمُ مخاوفي برهاناً على بُعد النظر.
وأسّي القرى المهجّرة كلها
كي أجد مُبرراً لظلالي.
صرتُ أراجع حسابات التاريخ والمصرف سويةً
كي أثبت أن الذكرى أشدّ وطأةً من الحلم
وأن الخسارة مهارة.

.٢

بين الانفاضتين
تحدُث الأشياءُ فقط إذا فتحتُ الراديو
أو إذا وصلتُ إلى البحر.
عدا عن ذلك ، لا شيءٌ مما يحدثُ يُشبهني.
ووحدة الحزن يميّزني.

أُسْقُطَ عن جسوره
أو سَخَّ من أيِّ جائزةٍ أدبيةٍ
وعاجزاً عن تغيير الباطل حتى في قلبي.
نحو ماءٍ أزرق لا يرضي بغير الشهداء للغرق
حتى لا يزيق السياسيون لونَ الموج
وحتى لا يزيق الأدباء حُزْنَهم.

.٣

بين الانتفاضتين
«أُوسلو» جاءت بمزيدٍ من الحواجز
وأسبابٍ جديدةٌ للموت بلا سبب.
«رام الله» صارت أبعدَ من «القدس»
أكثر من مدينة وأقلُّ من ثورةٍ.
«حيفا» ما زالت أرخصَ من بحرها
ودفيئةً لشذوذ القرى المجاورة.
«أم الفحم» سكانها مُخلصون لنشرات الأخبار
مدينة غير مهمّة على طريق مهمٍ.
وحدها «تل أبيب» تنفرد بدور «ملاك الموت»

.٤

بين الانتفاضتين
لم يتغير الكثير
ولا شيء حدث مما توقعنا.

ووحدها الحواجزُ العسكريةُ تلذُ بعضها
ومخابئ في القصائد للحنين ،
وللجنين المقنع بالروبيّة ورواية البقاء.
ووحدها الحواجزُ تلذُ بعضها
ومخابئ في القصائد للصوص والأكاديميين ،
وللدم حين يصير بطعم الماء .
صار الوقتُ لا يمضي بل يمرّ.
يمرُ ببساطةٍ ويموتُ
لا نأخذُ منه ولا يأخذ منا
نموتُ ويموتُ إلى جانبنا .

.٥

بين الانفاضتين
الجندُ يحلمون بأظافر زوجاتهم
 وبالقبور المفتوحة لضحاياهم .
الأطفال يحلمون أنهم يحلمون
 وأنهم في ملابس الجنود .
والشعراء يستقلونَ عن ذاكرتهم
بحثاً عن «أنا» أكثر إتساعاً
أو أكثر رحمةً بالقاتللين والقتلى .
بينهم وقفت متمسكاً بقصيدة تعدني بالزنابق
وبأسماء وانتماءات جديدةٍ لأعدائنا .

.٦

بين الانتفاضتين
أغسل شفاهي جيداً بالصابون
حتى لا أنطق نهاراً بلسان العتمة
وأحرس أصابعي من الكتابة بالدم
حتى لا تشير إلى أي شيء.
ويظل قلبي وحده يُخيفني
وحده لم يقتل غيري بعينيه الحائطتين
وحده يبعد معي جرحنا القديم.

مطر قديم

لن أصيَر مطراً
إلا إذا سقطت من الأعلى
وملأتُ أيَّ شئٍ.
لن أصيَر مطراً
إلا إذا كنتُ للبحر روحهُ
ونفعتُ كلَ الناس.
لن أصيَر مطراً
إلا إذا رفضتُ السماءَ
وفاءَ للأرض».
هكذا تكلَّمتْ دمعةً في عينِ الله
قبل أن يمسحها عن خدّه بقسوة
ويعذنا بالصَّبر والرحمة
والاقتصاد باستعمال الماء.

غَسِيل المقاھي

في المقهى

خمسُ ساعاتٍ طوال
جلسَ في المقهى أمام هاتِفٍ مُقفلٍ
يُنْتَظِرُ عِجْزَهُ أَنْ يَرُنْ.
يُفاجئه قلْبُه مَرَّةً بَعْدِ أَخْرَى
بِقُدرَتِه عَلَى ولادَةِ التَّماسِيقِ
وَالْعَابِ الإِخْفَاءِ.

لو كَانَ يُحِيدُ القراءَةَ مثَلَّمَا يُحِيدُ الْكِتَابَةَ
لَا خَدَّ حَذْرَهُ مِنَ الْأَفَاعِيِّ الَّتِي تَمَلَّأُ فَنْجَاهُ الْمَقْلُوبَ
أَوْ عَلَى الأَقْلَلِ لِفَهُمْ أَنَّهُ خَارِجُ الْخَدْمَةِ.

لَوْ رُفِعَ نَظَرُهُ عَنِ الْجَرِيدَةِ
لَا نَشْغَلَ بِصَاحِبِ الْمَقْهَىِ
يَكْنُسُ العَتَبَةَ

وَيَمْسُحُ عَنِ الْبَابِ تَجَاعِيدَ الْهُدُوِّ.
لَوْ حَدَّقَ بِالْمَكْنَسَةِ

لِفَهُمْ أَنَّهُ يَشْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ
وَلَمْ يَقْنُسْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِثْلُهُ.

لَوْ أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي الغَبَارِ
لِفَهُمْ أَنَّ ذَكْرِيَّاتِهِ لَيْسَ بِالْإِثَارَةِ الَّتِي يَتَخَيَّلُهَا.

في الغربة دائمًا ثمة من يعرفك

في الغربة دائمًا ثمة من يعرفك
إرتاباك سيدرك أحدهم بصورة
من «الناشيونال جيوغرافي»

ربما تظهر الأهرامات فيها أو باب العامود في القدس.
وافتوك وأنت تلتقط «نعمة الله» لمعت في الزحام لتقبلها
ولا تجد مكاناً ترفعها إليه أعلى من ذكرياتك
ربما ستذكر أحدهم بفتات طفولته أو بمناقير والديه.
تدس قطعة الخبز في جيبك وتمضي.
لو كان بيتك قريباً لوضعتها على حافة عمرك واسترحت.
يتبعك أكثر أنك لا تفقد شيئاً أثقل من يد أمك
وأخفّ من الحرّية.

لكن ما دمت تستطيع أن تجلس مسالماً مثل طابع بريد
وهادئاً كممحاة من الحنين

لترقب الثلج يسقط بخط الرقعة على الرصيف
فلست بحاجة لأن تمتلك من المقهى
أكثر من العابرين أمامه.

سيمر أحدهم من أمامك يجر كلباً أو حقيبة سفر
قد يلعق الكلب طرف حذائك
فتتذكرة كثيراً من معارفك وخساراتك،
وقد تصطدم الحقيقة بطاولتك
فتتذكرة كل الشّعر الكاذب عن الوطن والّسفر.

سيجلس أحدهم على الطاولة المجاورة،
ووجهك باللحية الكثة سيبدو له مأولاً
يشبه الوجه التي تقفر من القنوات الفضائية
إلى سريره قلقةً وناقةً
وترطن بلغة لا يميز فيها إلا كلمتي «الله» و«حبيبي».
لكنه قد يلمح فيك حاجباً من أبيه أو أنفًا من أخيه
وقد يبتسم لنظر أذنيك الكبيرتين
كم تشبهان أذني أمِه وكلماتها وكعکها.
سيتابع ارتباكك وأنت تخرج قطعة الخبر
كي تخلص من حفنة «السِّنَنَاتِ» التي في جيبك
مقابل فنجان قهوة سادس.
سيراك تتخلّى عن مبادئك وأنت ترمي الخبر إلى الرّبالة.
قد يظن أن رعشة أصابعك من فرط القهوة،
لكن لن يخطر بباله أنك ما زلت تخاف الله.
قد يحيره اضطرابك
لكنه لن يرى ميزان الحسنات والسيئات
يرتفع تحت جلدك.
قد يميز حركة يدك المتربدة
لكنه لن يسمع زعيق أسماء الله الحسنى عليك.
وقد يلاحظ تعثرك
لكنه لن يفهم أنك سقطت لتوك عن الصراط المستقيم.
سيبتسم لك
وستحنني له رأسك.
سيقول: نهار جميل.
وستقول: «لا حول ولا قوّة إلا بالله».

ذكرى تتقوس

.١

ها أنت ذا تحيا بلا مقبرةٍ أكيدة.
تحتفي بأيّ ذكرى تتقوسُ أمامك
لتتمرّ عليها ضباباً قدِيماً
لا رائحة له ولا موت فيه.
كأنّه لا ضير على الحزن
حينما تقلُّه من قصيدةٍ لأخرى
مرةً بعد أخرى
مرةً جسراً وأخرى صندوق قمامه.

.٢

ها أنت ذا تعبرُ من فِيم لآخر.
لا اسم لك ولا طعم لك
إلا ما يظلُّ منك في فناجين القهوة
وعلى المقاعدِ أمامَ البحر.
تمرُ اللحظاتُ مصادفاتٍ سريعةً
وشفاهَا مباغتةً.

.٣

هنا مقهى
لتقول أنك ضدَّ النهار

وهنالك مكتبةٌ
لتتأكد أنك سافرت كثيراً.
هنا تسكعُ بين أسعارِ السوقِ
لتتجدَّ بائعاً يدلّك إلى خلاصِ بلا ثمنِ.
هنا وهناك تكتملُ القصيدةُ
كي أجدَ فيها
تراياً يدخلني إليه لأرى ولادي
وحريراً يخرجنِي منه لأرى السماءِ .

.٤

تكتملُ القصيدةُ
محاولةً للحياة بلا هدفٍ سوى الكتابةِ
كتابةٌ عن الكتابةِ وكتابةٌ على كتابةِ.
تكمِّل الحياة
محاولةً للمشابهةِ بين كلمة "أحبّك"
ودراجةٍ هوائيةٍ على منحدرٍ.
عشرون بحراً أو أقلّ نورساً
يكفون كي أجدَ طريقِي.
أكثر شواطئِ
وسيكون بإمكانِي أن أختارَ اسمي.
اسمٌ لا اسم له
ولا ضير علىَ فيه
حينما أنقله من قصيدةٍ لأخرى
ريثما أجد عنواناً لكتابي القادمِ.

حياة بالأبيض والأسود

.١

فضاءً أسود، فضاءً أبيض
بينهما شجرٌ من حُكَّاس قديمٍ
يلمعُ كلما هرّته الريحُ
ويدلُ الغزلانَ إلى عشبي الأسود.

.٢

فضاءً أسود، فضاءً أبيض
بينهما قمرٌ من صدأٍ
ينيرُ كلما حاصرَة الغيمُ
ويدلُ العصافيرَ إلى نوافذِي في السماء.

.٣

فضاءً أسود، فضاءً أبيض
بينهما بحرٌ يابسٌ
يتسعُ كلما هدأَ الموجُ
ويدلُ الرملَ إلى أنهاري.

.٤

فضاءً أسود، فضاءً أبيض
أتعثّرُ بينهما
كعيمٌ من ثرابٍ
علقتُ بينَ أشرعةِ من الغبار.

.٥

فضاءُ أسودُ، فضاءُ أبيضُ
يقتسمان جناحي
ويوزّعان عمرى بين المخابىء والبرارى
والنجوم والشواطئ:
الأيام للقرية منها
والحزن للبعيدة منها.
القصائد للمنطفئة فيها
والصمت للمضيئه فيها.
وأنا بينها
ينهُبُّني نباتُ القلق
وإلهُ صغيرُ القلبِ
وماءُ لا منبع له.

.٦

فضاءُ أسودُ، فضاءُ أبيضُ
روح سوداءُ، قلبُ أبيضُ
ذاكرةً بيضاءُ، نسيانُ أسودُ
كتابةً بيضاءُ، قصائدُ سوداءُ
أفلامٌ ملوّنةٌ
وحياةً بالأبيض والأسود.

فاكهة متروكةٌ

مضي العمرُ.
حياةً كاملةً على طاولةٍ واحدةٍ
متروكةً على عشبِ أسودٍ.
لا ظلَّ لها ولا كراسيٌ حولها.
لم يحجزها أحدٌ
ولم يحفر أحد قلبه سهواً عليها.
لم تُمْتُ فوقها شمعةٍ
ولم تحيا عليها أيةٌ أصابعٍ.
مضي الحبِّ.
وأنا على الخشب المحروقِ
صحنٌ فاكهةٌ بائسةٌ
تبثُ عن عينٍ للصدفةِ
يدُ للعربيِّ وفُمُّ للموتِ.
وما من أدمٍ إلا البردُ
وما من نسلٍ إلا الذبابُ.
مضي الوقتُ.
لم أجد ظفراً يرضي أن يكون سلّتي
أو رصاصةً ناعمةً في ظهر التفاحِ.
مضي الليلُ.

لم أر فيه شمساً حقيقةً واحدةً
أو قبراً أكيداً آتٍ لقشورى.
مضي الحلم.

تقلبني العتمة بلسانها في طبقي البارد
من جنب لآخر

ريثما أُعثر على حدائق معلقة أنتمي إليها
أو على قصائد لا تمنعني من الدخول إليها.
مضي النوم.

على طاولتي
كأس مليئة بالسكاكين والإسبرين
وعباد الشمس.

حوار

- ما الله؟
- الحبّ
- أين يسكنُ؟
- حيث تدعهُ يشرقُ
- هل تعرفُ اسمه القديمَ؟
- العتمة
- كيف تعرّفت عليه؟
- وجدني أكتب شعراً في مقهى محطة الوقود
- سأله عن اسمي ، ثم قال انه يشبه ذكرياتي
- صباية!

الكتابُ بالعُرْبِيّة

عندِي دورٌ ملائِمٌ لِكَ:
صَدِيقُ البَطْلِ.

سَتَحْظَى بِأَنْ تَكُونَ مَعَ الْبَطْلَةِ.
أَعْدَكَ بِلَقَطَاتِ «كِلُوزِ أَبِ» أَيْضًا.

وَرَبِّما قَدْ يُسْنِحُ لِكَ أَنْ تَغْفِيِّ.
هَا، مَاذَا قَلْتَ؟

هَلْ تَوَافَقُ عَلَى أَنْ تَكْتُبَ بالعُرْبِيّةِ؟

طروادة

.١

في جوف حصانِ طروادة
إِسْتَنْكَفَ مُحَارِبٌ صَرَعَتْهُ الْعَتَمَةُ.
هَانَذَا أَكْتُبُ اسْمَهُ بِمَعْجُونِ الْأَسْنَانِ
عَلَى مَرَآةِ الْحَمَامِ.
هَانَذَا أَحْصَيْتُ خَاوِي بِدَلَّا عَنْهِ
لِأَخْفَقَ عَنْ سِيفِ وَحْدَتِنَا.

.٢

مِنْذْ حَاصِرَتْ طَرَوَادَهُ حَصَانَهَا
لَمْ يَتَغَيَّرْ فِي الْعَالَمِ الْكَثِيرِ.
وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ مَا انتَظَرْنَاهُ.
خَيْلٌ كَثِيرٌ
حَلَمْتُ بِدُخُولِ طَرَوَادَه
وَمِنْهَا كَتَابِيُّ الْأَوَّلِ.
دِيوَانٌ مَلِيٌّ بِالْفَرَسَانِ وَالْخَسَارَاتِ
لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ النَّقَادُ
وَلَمْ يَعْبُأْ بِهِ حَرَاسُ الْأَسْوَارِ.

.٣

منذ هُدمت طرودة

لم تنجح القصائدُ بتغيير العالم

ولم يعدُ الشعراءُ يبتعدون عن أنفسهم.

كتبُ كثيرةً

حاوَلتُ استعادة الأحلام الضائعة

ومنها كتابي الأول

ديوانٌ مليءٌ بالمرايا والفشل

ظلّ خارج تاريخ النهار والخيل.

لكتّه منذها

إحتلّ أكثر من وسادة

واستطاع أن يُشبه وجه الليل.

مدحُ البلوند

.١

عُبُ النادلة مليءٌ بالقصائد الشقراء
تحمل صدرها على صينيتها
تطوف بالصمت والكحول.
نمزان في ركنِ الحانة
يتهجّيان خصرها.

.٢

جوربُ أسودُ
ينجبيءُ في دفنه فخديها.
بينهما شمُ متخاذلُ اليدين
لمسُ لا لونَ له
وبصرٍ خائبٍ يتسلق بصمت.
يبينهما
مواءُ التمرّين كلامٌ أبيضُ
يرعى النعومة تحتَ ثوبِها المشدود.
يشفُّ كلما اشتدَّ على التمرّين السُّكُرُ.
يشفُّ ويشتدُ.
يصبحُ آخر الليل سطح زجاجٍ
لا نفاذ منه إلا بالكتابة عليه
أو بتكسير الحانة على رؤوس أصحابها.

.٣

نمران
كُلُّ منها مشغولٌ بقصيده الآتية
من العيون الزرقاء
ومن تحت الشوب الضيق كالليل.

نمران
كُلُّ منها مشغولٌ بانسيابه
نحو أفواهٍ من ورق
للأمومة والشبق.

نهادان يقتسمان نمرٌين
نمرانِ بألفِ فِمٍ.

.٤

منفضةٌ
عينٌ خامسةٌ
انفتحت وسط الشرشف الأحمر.
تمضُّ لحظات الصمت بينهما
وترقبُ ذهاب السجائر الى النوم
مفتوحة العيون.

تمتلئُ منهم بالرماد
وبقشور العلقة والحسرة.

.٥

دمعةٌ غير مفهومةٍ.
رغبةٌ ممنوعةٌ تمُصُّ إصبعها.

شروعٌ صغيرٌ.

دخانٌ مشوهٌ.

ريقٌ ثرثارٌ.

وشفاهٌ مشققةٌ.

كلّها تسقطُ إلى الكحول

تفيضٌ... تفيفٌ

(لا يسمعان)

.٦

تجيءُ النادلة

تمسحُ عن الشرشف

ما انسكبَ عليه

من رغوةِ القلب.

تضيءُ مربّعاتهِ الحمراءَ

تحتَ يديها.

تشتعلُ أكتافُ النمرِين

من بشارَةِ الساتان.

.٧

حسبهما ما اقترباه من القصيدة

حسبهما ما شرباه من البلوند.

خرجاً من حانة الغياب

إلى شارعِ بألفِ رصيفٍ.

تترافقُ فيه الظلالُ والتهيئات

(من كلّ نوعٍ اثنان)

وبائعُ الهوى والذكريات
(من كُلّ نوعٍ اثنان)
والغزلانُ والأرانبُ والكلماتُ
(من كُلّ نوعٍ اثنان)
وإشارات المرور والطيور
على أشكالها وعلى غير أشكالها
(من كُلّ نوعٍ اثنان)
والناس والملائكة والشياطين
(من كُلّ نوعٍ اثنان)
والكلابُ الضالةُ وشذوذُ الزوايا والنواير الخرساءُ
(من كُلّ نوعٍ اثنان)
والكوابيس والرغبات الممنوعةُ والأشياءُ
الملائمةُ للشعر وغير الملائمة لأيّ شيءٍ
(من كُلّ نوعٍ اثنان)
والقلوبُ
قلوبُ القلوبِ
(من كُلّ نوعٍ ألف). .٨

ترمس أصفر كذهب قديم.
خضروات مُلوّنةٌ كقوس قُزح.
جبنٌ أبيض كمفردةٍ بتول.
غربةٌ حادةُ العينين.
حنينٌ فتى الأظافر.

وحلمتان مُنتصبتان من شدّة الشِّعر.
كلها اختلطت ثم انتظمت لدخول القصيدة.
تحتفل بالفوضى في قِيء النمرِينِ
على الطاولة
وعلى الساتان
في الشارع
وفي كل مكان.

.٩

النمران
حمدت مخالبها في المنفحة.
ذابت أننيابها في الكؤوس.
النمران
خرجا إلى الريح
من مسودات الشهوة والكتابة.
يبحثان عن امرأةٍ أو اثنتينِ
او ثلاثِ غاباتٍ.
يلعقان منها نَّ الأصابع.
يعُضّان منها الصُّدور
وينبشان بدمهنَّ
بحثاً عن النادلة الشقراء
ومن ذاكرةٍ جديدةٍ تؤكّل
وجلدٍ مُرقّطٍ جديد.

.١٠

نُمْرُ واحِد... عَلَى الْأَقْلَى
ما زال يُضيّعُ فِي الْحَانَاتِ بِدَائِيَّتِهِ.
ما زال يسْكُبُ عَلَى الشَّرَاشِفِ وَحَشِيَّتِهِ.
ما زال يجُدُّ فِي الشَّوَارِعِ فَرَائِسَهُ.
وَمَا زال يرْقُطُ الْوَرَقَ بِقَصَائِدِ
يَلْمَهَا مِنْ عَبَّ النَّادِلَاتِ.

أنا وأصدقائي

هَكُذا

أن نجلس ونمدّ أقدامنا على سورِ ساحةِ المقهى.

نبتسمُ لخيبتنا

نمدحُ الكسل

ونصدّقِ بعضنا

دون حديثٍ مجاني عن الأدب والسياسة.

لا نتذكّر

ولا نتوقع

فقط نهدأ.

ننثرُ حولنا فتاتَ طموحِنا

ونبصقُ ساخرين من الباحثين

عن السعادةِ خارجَ بيوتِهم.

هَكُذا

أن نجلس ونمدّ أقدامنا على سورِ ساحةِ المقهى

دون أن يكون علينا أن نبرّرَ ضعفنا إلا لله وأمهاتنا.

دون مخيّلةٍ أبعدَ من حرصِنا على بعضنا.

ودون مشاريعٍ مستقبليةٍ غير أن نزداد ثقةً بالماضي :

حاولنا أقصى ما نستطيع لا أقصى ما يستطيعه غيرنا.

هَكُذا

أَن نجلسَ ونرتشفَ الْقَهْوَة
نُحَدِّثُ فِي حَرْكَةِ الْغَيْوَمِ
وَنَحْيِي الْعَابِرِينَ.
نُكَذِّبُ تلْكُؤُهُمْ
وَنَصِّدِّقُ سُؤَالَهُمْ عَنْ أَحْوَالِنَا.
أَنَا وَأَصْدَقَائِي
لَا نَتَذَكَّرُ
وَلَا نَتَوَقَّعُ
فَقَطْ يَطِيبُ لَنَا حِيثُ صِرَنَا مِنْ أَنفُسِنَا.

عقد إيجار المنزل الجديد

في عَقدِ إِيجارِ المَنْزَلِ الْجَدِيدِ
بَنْدٌ يَقْضِيُ بِأَنْ أَحْتَرَمَ خَصْوَصِيَّاتِ جِيرَانِي
وَأَوْقَاتَ راحِتِهِمْ
بَنْدٌ أَخْرٍ يَقْضِيُ بِأَنْ لَا أَدْعَ الشَّلَّاجَ يَسُدَّ الْمَرَّ المَؤْدِي لِلْبَيْتِ
وَآخِرُ أَتَعْهُدُ فِيهِ بِلَمٌ أُورَاقِ الشَّجَرِ.
لَكَتِّي وَدَدْتُ لَوْ أَضْفَتُ بَنْدًا أَقْرُ فِيهِ
أَنِّي لَسْتُ مَسْؤُلًا عَنْ صَمْتِي
وَالشَّتَاءِ إِذَا تَأَخَّرَ.
وَلَسْتُ مَسْؤُلًا عَنْ أَيِّ شَجَرَةٍ تَمَوَّتْ نَدِمًا عَلَى وَقْوفِهَا
أَوْ أَيِّ نَافِذَةٍ تَفَجَّرُ نَفْسَهَا
كَيْ تَكْتَبَ قَصْتَهَا بِنَفْسِهَا أَوْ بِزُجَاجِهَا.
أَيْضًا يَنْبَغِي التَّوْضِيحُ أَنَّهُ لَا عَلَاقَةَ لِي
بِمَا قَدْ تُوحِي بِهِ لِحِينِ الْكَثَةِ
إِلَّا بِمَا يَنْخُصُ تَعَصُّبِي لِطَعَامِ أَيِّ وَصْوَتٍ «أُمَّ كَلْثُوم».
وَدَدْتُ لَوْ سَجَلْتُ أَيْضًا
أَنِّي غَيْرُ مَسْؤُلٍ عَنْ ثَرَاثَةِ الْمِيرَمِيَّةِ
الَّتِي أَنْوَيْتُ زَرْعَهَا أَمَامَ الْبَيْتِ.
كُلُّ مَا سَتَقُولُهُ عَنِي وَعَنْكُمْ صَحِحٌ مِئَةً بِمِائَةٍ.

سأعتذرُ من أشباحي

عندما سأسترِّ ثقتي بالنوم
سأعتذرُ من أشباحي:
آسف

لم أستطع أن أدفعَ عن نفسي كما اتفقنا
وبدل أن أتعلم التأمل تعلمُ السُّخرية.
انتصرت الدنيا وهزم الناس.
كان أجدى لو فهمت باكراً
أن السُّمنة احتجاجٌ على خفة الحياة
وأنني لستُ أفضل من الذين أشتتهم.
وكان أجدى بكم لو رَوَّعتم غيري بأيامي.
العمرُ الذي مضى بحاجة لمكتنسيةٍ
لا لعينٍ تتبعُ ذوبانه في فضةِ الأعذار.
كان أجدى لو فهمت أن «فضة الأعذار» هذه متكلفةٌ
وأيُّ أغنية لـ «جورج وُسوف» أصدق منها.
ربما كان علىَّ أن أتعلم الصبر
بلا علقة وأفلام «أكشن» من الدرجة الثالثة.
وربما كان علىَّ أن أرثي التشاوب بعيداً عن النعاسِ
والتطييرِ من ظهورِ السياسيين في التلفزيون .
آسف

لكنني وبعد كُلّ هذه الصّباحات المتشابهة
ما زلتُ لا أفهم لماذا ليلى حبة تين تضجُّ بالتمل.
ولماذا أدخلنّ كما أحلم ببطءٍ وتردّدٍ
كأنني بلا أوهامٍ أستحقّها
وبلا نهاية طريق جديرة بانتظاري
أو بكم.
آسف.
صرتُ أخافُ عليكم أكثر مما أخافُ منكم.

مقهى محطة الوقود

.١

مرة أخرى، أخادع الكرسي.
أجلس عليه لأريح عيني.
مرة أخرى، أتحايل على الطاولة.
أغطيها بأوراق
لاماء فيها ولا حريق، لا شعر فيها ولا بريق.
مرة أخرى، أراوغ الخشب
وأستدعي بلاغة أصابعها في كفي.

.٢

مرة أخرى
بين الخشب وقلبي سفر قليل أسميه اليابسة
حيث الشجر كافٍ والظلال واسعة.
مرة أخرى
العالم مُرّ وصغير
كأي شيء يُشبه وحدتي أمام القصيدة وقهوي.

.٣

مرة أخرى

لا مكان لي في هذا العالم سوى الدهشة.

لا مكان لي في هذا المقهى سوى المكر.

هُنا يصير الكرسي زورقاً

والطاولة ميناء

قصائدي جزر والكتابة ماءً.

أقلامي مدربة على رُكوب البحر

و والإهتداء بنجوم الذاكرة.

ولا مكان لي في هذه الخداعات إلا الكلمات.

أجلسها على أطراف أصابعِي

حيث يستأجر البحارة غرفاً رخيصةً

يشمون عناوينها على أكتافهم

ويكتبون على مراياها بأحمر شفاه متروك:

هنا نسيتنا السفينة

هنا لا مكان لنا في هذا العالم.

الإِحْتِمَالات

الإِحْتِمَالات تحدث كالظلال
لا مكان لها
بلا أرض تهرب من أمامي.
لا زمان لها
بلا نهار يُهاجمني.
فارغة مني وفاغرة إلي.
كان يمكن
أن أهيء لي موقعاً
أفضل من نافذةٍ تخنقها ستائر
كي أطل على رجالٍ لم أُنْهُم
أو على مصادفاتٍ مازالت لا تعرفني.
كان يمكن
أن أنظر إلى الشارع
وأرى كل الذين أحّبوني وصمتو.
أو أن أنظر في فنجان القهوة الفارغ
وأرى كل الذين أحببتهם وخفت.
كان يمكن
أن أمد يدي نحو المرأة
لأتأكد أن مائي نصب.

أو أن أمدّ يدي نحو قضبان كبرياتي
لأتأكد أنّي أسير روحي.

كان يمكن
أن أكتب قصيدةً أو أن أبكي
لأنني لم أحتمل إمكانية أخرى لحياتي
ولم أندم كما يجب أو على الأقل لم أجرو على ذلك
دون حسابات صغيرة:
مثل الاعتراف بأنني رجل عادي
 وأن هذا الشغف العظيم بالدنيا
وبالشيء وحيداً تحت المطر
سيتعقّن مثل رغيف الوحدة.

عندما أتسعُ

عندما أكتب
أتسعُ ككلمةٍ لم يقلها إلا الله.
فيها مكانٌ ضافٌ للريح
كي تهبّ بين سريري والجنة
وفيها زمانٌ كافٍ للشجر
كي يطعني أسوةً بالملائكة.
فيها حبرٌ وفيه يرويني
وفيها منبعي ومصبّي.

إشارة طريق

تمهّل!

إشارة طريق للمتجهين نحو حزنهم
أو موتهم.

وحدي بوجه الشمس
وحيداً أمام الليل.

نظرات العابرين ريح تصفعني
فأدفع بقع صدأ ويتقدّر عمرى.

تمهّل!

يسرع العشاق فرادى غير آبهين بالطريق
يمضون إلى النهاية

بلا قصيدة تحميهم أو حبر صديق.

تمهّل!

يُشيرون صوبي:

«هذا الرجل

كان أسرع الخلق إلى الضياع

هذا كان أسرعنا وجدًا

وأقوانا على حمل الشراع.

تعدّانا بشغفه

وصار أمامنا مقدار قلبٍ أو أكبر

والآن سنتخّظاه ولها
مقدار حلم وبحر أو أكثر.
سيختلف عنّا

ربّما لأنّ هواجسه أثقل من عينيه
وربّما لكونه قد تذكّر.
أننا سنسقه لأن الصلاة أشد مضاضةً من السفر
ولكونه عند الإشارات تأخر».

تمهّل!

بقيت خلفهم في مهب الرمل
يعصف بي الغيابُ

أغيمُ في الغيم ويسحبني السحابُ.
أعد العابرين بالليل والنهر
أغرىهم بالتوقف قليلاً
وأروعهم باحتمالات الغبار.

لعلّهم يتمهّلون

لأخبرهم عن نهايات الطريق
فقد عدت لتويي والحزنُ رفيق.

وهأنذا على هامش الطريق
مُجرّد إشارة للطريق

تمهّل!

الغريب (٢)

من الأفق البعيد
سيُقبل شاعرُ غريبٌ
ولن يستأذن الدخول إلى قصائدي.
سيجد قلبي في دورق على رفٍ عالٍ
ولن يستأذن من أسمى عند الحطابين.
سيكسر إنائي ويُسْكِب مائي القديم
ويمسح عن روحي دعسات الغبار.
الشاعرُ الغريبُ

سيزرعني من جديد خارج القصائد
في غابة جانب جبل
لا تدور في رأسه إلا أفكار المحبوب.
سيزرعني بين الأشجار
لأخذ فرصتي من جديد للكتابة عن حزن «الغزالى»
ومحاولاته في الهروب
من ندم الفلاسفة على محاولة تغيير العالم
دون أن يتعلموا ركوب الخيل
ومهن الزراعة والقلوب.
سيزرعني عشبة لا تثير الانتباه بين الأشجار
وسأتنهد من جديد مثل سهل سnable
تأكله الحسرة على سرعة النار.

لَا بَأْسَ عَلَيْهِ

لَا بَأْسَ عَلَيْهِ
فَلِيَأْتِ مُثْلُ كُلِّ الْآلهَةِ الَّتِي خَذَلَنَا
وَلِيَقُلْ بِبِسَاطَةٍ: «آسَفٌ عَلَى تَأْخِرِي».
لَا بَأْسَ عَلَيْهِ
فَلِيَأْتِ بِلَا أَنْبِيَاءَ وَمُقدَّمَاتٍ
وَلِيَقُلْ بِوضُوحٍ: «فَشَلَّتُ».
لَا بَأْسَ عَلَيْهِ
لِيَقُلْ: «أَهْمَلْتُكُمْ لِلوقْتِ»
وَسَنَكُفُّهُ عَنْ غِيَابِهِ
لِيَقُلْ: «تَرَكْتُكُمْ لِلْكِتَبِ»
وَسَنَرُدُّهَا عَنْ حَقِيقَتِهِ.
لِيَقُلْ: «نَسِيَّتُكُمْ»
وَسَنَنسِيِّ.
لَا بَأْسَ عَلَيْهِ
لَهُ أَنْ يَؤْلَمَهُ النَّهَارُ مُثْلَنَا
وَأَنْ يَفْرَحَ بِاللَّيْلِ لِأَنَّهُ لَلَّيْلُ
دُونَ أَنْ يُرْهَقَ مُلَائِكَتَهُ بِالسُّؤَالِ عَنَّا.
لَهُ أَنْ يَطْمَئِنَّ عَلَى قَلْقِنَا عَلَيْهِ
وَأَنْ يَحْتَفَظَ بِمَا سَرَقَ مِنْ أَغَانِي الْأَرْضِ

دون أن يَعْدَنَا بِجُنْحَةٍ جَدِيدَةٍ.

لَهُ أَنْ يَقْرَبَ مِنْ قَلْبِنَا

وَأَنْ يَدْخُلَ أَحْلَامَنَا

دون أن يَرُدَّ لَنَا شَيْئًا مِنْ صَلْواتِنَا.

لَا بَأْسَ عَلَيْهِ وَلَا ضَغْيَنَةَ.

لَكُنَّا نَرِيدُهُ أَنْ يَرِيَ كُمْ صَرَنَا نَشَبَهُ بَعْضُنَا

وَأَنَّا بِلَا شَهِيَّةٍ لِلْحُبِّ وَالطَّبِيعَةِ.

لَا بَأْسَ عَلَيْهِ وَلَا ضَغْيَنَةَ.

لَكُنَّا نَرِيدُهُ أَنْ يَرِيَ أَنَّا نَقْضُمُ أَظَافِرَنَا عِنْدَمَا نَصْلِي

وَأَنَّا نَحْتَمِلُ الْوَقْتَ بِالْأَفْلَامِ الرَّخِيْصَةِ لَا بِالإِيمَانِ.

لَا بَأْسَ عَلَيْهِ وَلَا ضَغْيَنَةَ

لَنْ نَغْضِبَ وَسَنَغْفِرُ لَهُ

وَسَنَدْلُ أَطْفَالَنَا إِلَى بَيْتِهِ

دُونَ أَنْ نَخَافَ أَنْ يَؤَذِّيْهِمْ فِي الْعَتمَةِ

مِثْلَمَا آذَانَا.

كلامُ في السياسة

.١

هذه السنة
لن أميزَ بين الذكريات والكاسيتات
ولن أفرق بين الأحلام والإعلانات.
سأرِي بلادي كما يراها السياسيون
مقاعدً ومقاعدً ومناسبات.
سأجلسُ مثلهم على أي شيء
وألعبُ مثلهم بالجمعيات والكلمات.

.٢

هذه السنة
سأبحث عن منافي آمنة في بلادي
وحاناتٍ فيها لا تؤذيني إذا غبتُ عنها.
سأسكن في أي انتباهٍ عابرٍ لأي نادلة
تحسنُ أن تبيع اخناءَها على طاولتي لتشترىني
وسأكونُ تفاحَةً عاقلةً في صحن سهرها.

.٣

هذه السنة
سأصمت كأيّ مخطّة باصٍ متروكة
ولن أتضامن مع أحد.
سأحاول الهروب مثلما أحاول الكتابة
وربما سيخلط عليّ قلبي
مثلكما حين أحاول الصدق
ومتابعة أخبار الممثلين وإخوتي.
ربما سأضيع عن عمدٍ
لأقول شيئاً بريئاً
عن الحب والفاكهة لأصدقائي.

.٤

هذه السنة
سأحاول النوم باكراً
وأن أبدو رصيناً مثل أعضاء البرلمان
وسأفشل.
ربما لأنني بلا سبب واضح للسهر
أو كتابة الشعر.
ربما السهر الطويل أمام شاشة التلفزيون
أورثني صباحات مشوشة
وسذاجة الشجر حين يكبرُ
دون تحضير مسبق لدوره أمام النار.

ربما لأن الحرب قادمة
ومعها كل الشهداء ونجمون التلفزيون وخبراء الدُّم
ولست مضطراً للقول أن البحر جيل
أو أنه يشبه طالعي في الجريدة.
هذه السنة سيطول السهر
وستظل المقاهي والكوابيس مفتوحة حتى الفجر.

الجدار

أيُّ جدارٍ آخر أرحمُ عليكَ من هذا «الجدار»
أيُّ جدارٍ تثقُ ببقاءِه خلفكَ أو أمامكَ
لن يراوغكَ.

ما دمتَ تخيلُ أن خلفه بيئاً أو شجرةً كثيرةً الشقوب
سينتهي «هنا» أو «هناك».

وما دمتَ متأكداً أن تحته ترابٌ أو بقايا سورٍ مدينةٍ غابرةً
لن يتحرّكَ من مكانه.
إذا اشتدَّ عليكَ التعب
فلن يصدَّكَ عنه.

وإذا آثرتِ الشمسُ أن تصطادكَ أنت بالذاتِ
فلن يدخلَ عليكَ بظله.

هكذا هي الجدرانُ الأخرى
إذا اقتربتَ منها فستدعىَ وشأنَ سُمنتَكَ

وإذا تسلّقتها فستصبر على عرقِ جبهتكَ
لن تكترش لرائحةِ إبطيكَ
أو خشونةِ راحتيكَ.

هكذا هي الجدرانُ الأخرى

إذا ابتعدتَ عنها

تظلّ خلفكَ.

لا تتبعكَ ولا تبيتُ عندكَ.

لا تتركك دائمًا أمامها
ولا تتركك مليئًا بها.

هكذا هي الجدران الأخرى

لن تلتفّ عليك حتى لا تعرف أين تغيب الشمس.
ولن تعتصرك كأنك آخر مخلوقٍ على الأرض.

هكذا هي الجدران الأخرى

عندما يحفر أحدهم تحتها نفقاً تصبح جسراً
أو تسقط عليه على مهلة حتى لا تؤديه.

وعندما يلوّنها الأطفال برسومهم

تدلّم على السلاحف التي تحمل حارثهم تحتها.

هكذا هي الجدران الأخرى

لو زادت خروقها عن حاجتها
ستفتحها أعشاشاً للعاصافير.

ولو شاغبتها حبّة مشمشٍ

ستتمالك نفسها.

هكذا هي الجدران الأخرى

قد تحيط بيتك أو مدرستك

لكنها لا تحيط روحك وذكريتك

قد تسدّ عليك الأفق

لكنها لا تسدّ عليك النهار

وقد تحميك أو تؤديك

لكنها لا تعزلك عن نفسك.

خِرَاف «صَفُورِيَّة» تُثْغُر لـ «بَفَارُوتِي»

صرُثْ عَصْبِيًّا كَحْسَابِي فِي الْبَنَكِ
قلقاً كِإِشَارَاتِ الْمَرْرَوْرِ
وَمَشْحُونًا كِأَخْبَارِ «النَّاصِرَةِ».
صرُثْ أَثْقَ بِأَغْانِيِ الْكَاسِيَّاتِ
أَكْثَرُ مِنْ كُلِّ السِّيَاسِيِّينِ.
وَمَا مِنْ عُمْرٍ كَافِيًّا أَوْ شِعْرٍ مَنْاسِبٍ لِأَيِّ مَنْاسِبَةِ.
مَرَارًا حَاوَلَتِ الْكِتَابَةِ
عَنْ ضِيقِ الْقَلْبِ وَالْجَيْبِ
وَالتَّقْلِبِ وَالتَّعَصُّبِ.
عَنْ وَطْنِ بَلَا بِيَارَاتِ وَقَمَرِ وَزِيَّتُونِ
بَلَا سُجُونِ وَطَوَاوِيَّسِ وَرَاحِلِينِ وَعَائِدِينِ.
حَاوَلَتِ وَفَشَلَتِ.
لَا نَفِي لَمْ أَعْدُ أَرَى وَجْهَ الشَّبَّهِ
بَيْنَ الْمَوْتِ شَهِيدًا أَوْ فِي حادَّةِ طَرَقِ
بَيْنَ الصَّدْقِ وَالْكَذْبِ
وَبَيْنَ «طَهَ» وَ«عَبْدَ الْهَادِيِّ»
هَذَا الصَّيفِ
سِيسَافِر «طَهَ» إِلَى مَهْرَجَانِ جَدِيدِ فِي «فَرَنْسَا»
وَسِيَحَدُثُ جَمِيعَهُ الرَّمَاحِلِ عَنْ خِرَافِ «صَفُورِيَّة»
الَّتِي قَرُونَهَا مِنْ قَطْنٍ وَتَشْغُرُ لـ «بَفَارُوتِي».

لماذا علينا أن نعلم عدُونا تربية الحمام؟

لماذا علينا أن نُدرِّبَ عدُونا على حركة يَدِنَا في نَثْرِ الْفُتَاتِ؟
لماذا علينا أن نُصَرِّ على أن نُرِيهِ كَيْفَ يَبْتَسِمُ خَبْرُنَا
لِلنَّاقِيرِ؟

لماذا علينا أن نعلم عدُونا تربية الحمام؟
ربما

لأنَّ الْخَبْزَ إِسْمُ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ
وَفِي ذَاكِرَةِ الْحَمَامِ طَوْفَانٌ قَدِيمٌ.
لَسْنَا آخِرَ النَّاجِينَ

ولَكُنْ قَدْ يَنْقَذُنَا عَدُونَا مِنْ نَفْسِهِ
إِذَا فَهُمْ أَنَا زَوْجٌ: قَاتِلٌ وَقَتِيلٌ
وَعَلَيْنَا انتِظارُ بِزُوْغِ الْأَرْضِ فِي فُلُكِ الدَّمِ سَوَيْهِ.
ربما

لأنَّه يَرِي كَراهِيَّتَنَا خَلْفَ حَواجِزَ لَا حَاجَةَ لَهُ بِهَا.
كَمْ يَكْرُهُنَا الْحَمَامُ الَّذِي نَسْمَنَهُ لِنَأْكُلَهُ
نَرِيهِ خَارِجَ الْأَقْفَاصِ
وَمَعَ ذَلِكَ يَنْتَصِرُ حَنِينَهُ إِلَى سَكَاكِينَنَا.
ربما

حِينَ سَنَعْلَمُ الانتِظَارَ مِثْلَنَا
سَيَقِنُ اسْتَدْرَاجَنَا

بلا حاجةٍ لاصطيادنا برصاصه من بعيد.

سنقتربُ كالحمام منه بلا وجلٍ

وسيدعنا نسمُّن على فضلاتِه.

سيُجبرنا على المشي بدل الطيران
 وسيؤسسُ من أجلنا مملكة الدجاج.

ربّما

لأننا سنكره عدوَّنا أكثر حين سيشبهنا.

ربّما

لأن السخرية آخرُ ما تبقى لنا
 قبل أن نترجم كل نكباتنا إلى العبرية.

الأماكن العالية

.١

في الأماكن العالية
لا نستطيع التنفس بسهولة.
لا نستطيع الكذب إلا لنكون صادقين.
ولا نستطيع النوم إلا لنجعل.

.٢

في الأماكن العالية
أي شيء يطل على كل شيء.

.٣

في الأماكن العالية
الناس يبدون مثل أيامهم
مثل بعضهم ومثلي.
عندهم متى قصائدي
والله الذي عندهم عندي.

.٤

في الأماكن العالية
أماكن عالية لنا
ما دمنا لا نصلها.
وأنا سافرت كثيراً
ولم أجد مكاناً أعلى من وسادي.

حكمةُ الخشب

أرذلُ الأخشابِ
ينجُو دائمًا من النار
ويسلمُ قلبه بخنوغٍ للبل.
أجودُ الأخشابِ
أسرعها دائمًا للاحتراق
وأقساهَا بوجهِ الماء.
فمن أيّ قلبي؟
ومن أيّ طبعي؟
حكمةُ الخشب علّمتني
أنَّ اللَّهُ هو النجَارُ الأوَّل
والإنسانُ هو أوَّل آثارٍ على الأرض.
حكمةُ الخشب علّمتني
أنَّ الإِجَاباتِ ترابٌ ناعمٌ
والأسئلةَ سماءٌ خشنة.
وأنَّه ما من أحدٍ يستطيعُ كسرَ قلبي.
حكمةُ الخشب علّمتني
أنَّه من الصواب أنْ أهبَّ
أكثُر وقتًا للصلوة وتقليمِ أظافري
وأنَّ أشعرَ بالأسى
كُلّما أثقلتُ أدراجي بالصور والقمصان
وعاملتُ خزانتي بالفوضى أو النسيان.

غسيل الحب

خبز يابس

ستجدني
تماماً كما تركني الآخرون
صينية خبز يابس
ينهبه النملُ
ويسرقه الانتظارُ.
فخذلي مثي ما ظلّ مثي
وأعيديني إلى سنابلي
كي أنام
وأحلّم بالنار.

وحيدة

تعتمر قُبَّعَتِينْ
سوداء وأخرى لتختفي عينيها.
تلتف بشالِينْ
أسود وآخر لينام على كتفيها.
تدثر بمعطفِينْ
أسود وآخر ليدفع عزلتها.
ترتدي قميصِينْ
أسود وآخر ليلوّن وحدتها.
تكتسي تنورَتِينْ
سوداء وأخرى هدية منه.
تلبس جوربِينْ
أسود وآخر من بقية عنه.
تنتعل حذاءِينْ
كلاهُما أسودان
وكلاهُما للطريق.
تقف وسطها بين رصيفِينْ
كلاهُما أسودان
وكلاهُما ليسا لها.
وحيدةٌ كربطة عنق

علقها عاشق على ظهره ومضى.
تنتظر موتها
مع سيارة عابرة
أو في عنقه إذا أتى
إذا أتى.

خسارة

إلى...
لَكَ وَالآنِ،
كُلَّ يَوْمٍ
يَكْبُرُ خَوْفُكِ مِنْكِ وَعَلَيْكِ بِيَوْمٍ.
فَخَسَارَتِي لَكَ
سَتَكُونُ أَكْبَرُ مِنْ حَزْنِي عَلَيْكِ.

هاتُف بلا مخالب

صوْتُك على الْهَاتِف
قُطْلُ أَبِيْضٍ يَمْرِّ بَيْنَ رَأْسِيْنَا.
فَرُوهُ نَاعِمٌ وَمُثِيرٌ
وَرَاحْتَهُ تَدْمِي قَلْبِيْنَا.
عِينَا تَفِيْضَانَ «وَيِسِّكِي»
وَعَلَى فَمِهِ يَسِيلُ مَوَأْنَا.
يَحْدَقُ بِتَحْدٍ
وَيَهْزِ ذِيلِهِ بِاسْتِخْفَافٍ.
يَنْسِلُ بَيْنَ شِرَاشِفَنَا
.وَيَدْحُرُجُ رُوحِيْنَا كَحْبَتِيْنَ مِنَ التَّفَاحِ
يَغِيْبُ فِي خَتْلِ السَّكَرِ بِالْكَلَامِ
وَلَا أَدْرِي بَعْدَهَا
هَلْ إِلَى أَزْرَارِكَ الْمُضِيَّةِ مُضِيٌّ
أَمْ بَيْنَ مَلَابِسِيْ أَتَى لِيَنَامِ.

دهان

صباً حاً
أدهنُ خبرَها بالمربي
ظهراً
أدهن جَسدها بالشمس
عصرًا
أنامُ
مساءً
أدهنُ قلبَها بقصيدةٍ
ليلاً
لا أستطيع المُداهنة أكثر
أترُكُها تنامُ عندي
وأرى الحلمَ وحدي.

سواي

إلى....

قلبي لك وبعد،
الآن أكثر من أي قصيدة مضت
أعرف

أنك بلا حزنٍ حقيقي
وبلا قلق دائم سواي،
لذلك أنا دائمًا عندك.

أعرف
أنك لن تشتكي البكاء
أو الموت سواي،
لذلك أنت دائمًا مرآتي.

أعرف تمام القلب
أني دائمًا سأحزنك
وأنك دائمًا ستبكيني.

ضعيفة النظر

ضعيفة النظر
لكنها

كانت تجد طريقها إلى
وكان تدلّني إليها.
ناظرتها تكبّر البيوت
توضّح الصورَ
وتطيلُ الشوارعَ.
إلا قلبي
ظل صغيراً وغامضاً
وبلا مخرج.

وشایة الملابس

ملابسك المرتبة كأيام الأسبوع
وشت لي أنك لم ترتدي أبداً
صدرية بلون لسانك.

وأنك تنشرين غسيل العشق والأوهام
على حبل مدّته العتمة
بين منقار الشباق ويد الأحلام.

منها عرفتُ
أنك تؤذين خزانتك
بينما أهلك نياً.
منها عرفتُ

انك تسکینين على المرأة جسدك
وتمدّين تحت قميص الفضة يدك.
تلثمين فمه المسحور
وتهمسين إلى بُكائها المقهور:
فليبقَ هذا سرّنا الصغير
فليبقَ هذا سرّنا الصغير.

شخصٌ مَا مِثْلِي وَمِنِّي يَبْكِي

شَخْصٌ مَا
مِثْلِي وَمِنِّي يَبْكِي
لأنَّ الْفَقْدَانِ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِالسُّوءِ
الَّذِي يَحْلُو لِلشَّعْرَاءِ أَنْ يَتَذَكَّرُوهُ
سَتَارَةً أَوْ مَالَحًا.
وَلَيْسَ صَرِيْحًا
كَمَا يَحْبُونَ أَنْ يَتَرَكُوهُ
حَوْلَ الْقَلْبِ غَيْرًا
وَاضْحَى أَوْ حَامِضًا.
وَهُدُمُ الشَّعْرَاءِ
لَمْ يَفْهَمُوهُ بَعْدَ أَنْ الْوَقْتَ
مُضِيْعَةً لِلْوَقْتِ
كَمَا الْذَّكْرِيَاتِ عَنِ الْذَّكْرِيَاتِ.
وَهُدُمُ الشَّعْرَاءِ
لَمْ يَفْهَمُوهُ بَعْدَ أَنْ الشَّقَةَ بِالصَّمْتِ
خِيَانَةَ لِلصَّمْتِ
كَمَا الْذَّكْرِيَاتِ لِلْذَّكْرِيَاتِ.
وَهُدُمُ الشَّعْرَاءِ
تَؤْمِنُ الْأَجْنَحَةَ أَسْرَتْهُمْ

ليل نهار.

ويمضي عمرهم شراشف سريعة
ليل نهار.

وحدهم الشعراء

يبالغون في الاستعداد للنوم
من أجل حلم قديم أو جسد عابر

وحدهم يبالغون في القلق
على وردةٍ أشقوها أنفسهم بإنقاذهما
من حدائق الكلام الذي خسروه

في الرهان على أحلامهم
من أجل امرأةٍ أحبوها
أو خافوا منها.

أسئلة

من جعل جسدي مملكة نخل؟
من جعل كلامي قمحك؟
من جعل قلبي كونَ عسل؟
من جعل قصائدي خبزك؟
من أوثق اهتمامي بك إلى راححة المُحال
وأطلقتها في بري؟
من ثبت لقلقي عليك جناحين من مُشميش وهال
يرفان فوق عمري؟
من قيد جوعك إلى فمي؟
من أسر ظماك في دمي؟
من وضع كل هذا الهروب بيننا
بين ضفي العناق؟
من علم ليلك الصيد
من علم أحلامي اللحاق؟
وما عجزي هذا عن العدو نحوك
مثل الشجر خلف الريح والأوراق؟
من يخبرني الآن؟
كيف تخبو النار في عين الغزال؟
هل بالموت من الإجابة

أم بالنجاة من السؤال؟
من يخبرني الآن؟
بعد ألف عام
هل ما زلت تموتين؟
وما زلت أحيا بعدهك؟
هل ما زلت تكتبين عني في الليل
وما زلت أقرأ عنك قلبك؟
من يخبرني الآن؟
بعد ألف عام.

المتنبي

في الحب
أرق كنسٍّ من غيمٍ وليلٍ
مباعٍ للريح
ومنوع عن القمر.

في الحب
أصفو كحكمةٍ من عمرٍ وخيلٍ
بليةٌ عند الجهات
وخرسٌاء عند السفر.

في الحب
أشفٌ كمديحٍ من سيفٍ وبدايةٍ
مفتوحٌ على الجسد
ومقفلٌ على النهاية.

في الحب
أصبح المتنبي
من ذاتي أرتوى.
أصبح المتنبي
نهاية القصيدة أنتهي.
أنتهي

نوملے

ما دامت
أرض العتمة منذورة للحب
سأظل مطمئناً أن القمر ليرةً من ذهب
على صدرِ ليلٍ رضيع.

ما دام
نومك أشجاراً حولي
لن تلمع روحي من بعيدٍ لأحد.
ما دامت أحلامك معي
لن أطلب منك انتظاري
مثيل شُرفةٍ يتيّمةً.

ما دام كلامك يجذبني قبل الفجر
هديّةً متروكةً على الباب
لن أدلّ الشمس إلى سريرنا
وما بيتنا من نباتٍ وثراب.
ما دامت

الشراشف تلُّ الغابة لنُ أميِّز بين الوسائل والأعشاش.

وَمَا دَمْتِ حَبِيبِي
سَأَظْلَلُ عَصْفُورًا تَفَاجِهُ أَجْنَحَتُهُ الْقَلِيلَةُ

بأنه لم يكن يوماً غزاً
ترتمي على خاضرته الينابيع والأعشابُ
ولا كان نسراً تستهيه الأعلى
ويستمبله السحابُ.

ما دامت يقظتك معى
أنا رجلٌ ما أحبَّ يوماً امرأةً سواكِ
ولا أحبَّ الصباح إلا ليراكِ.

غرفتني

هذه غرفتي
 تستطيعين وضع أغراضك
 بين أغراضي،
 هذه خزانتي
 تستطيعين ترتيب ملابسك
 بين ملابسي،
 هذا سريري
 تستطيعين النوم جواري
 أو بياني
 آه... أرجوك
 أبقي أشيائي على أشيائها
 على حالها وفي مكانها
 وبالمناسبة
 أنا أحب أن أكون قُمصاني بنفسي
(كثيراً ما تذكري زوجتي بهذه الكذبة)
 آه... تذكرت
 إياك أن تأكلني من قلبي
 في غيابي
 وهذه المرأة مرآتي
 هذه لي وحدي
 وإياك أن تدخلينها.

حساء التوت

.١

آخر الليل
ثديان
من عيني يسقطان
إلى قصيدةٍ عن توتها
ها هما
ثديان.

.٢

التوت
عشائي الأخير.
طيبُ
حين أعدّه على عجلةٍ
من كلامي.
طيبُ
حين أذكره على مهلٍ
من جوعي.

.٣

الثديان ثقيلان
يسقطان
ها هُما
ي
س
ق
ط
ا
ن
التوت الأحمر ينهصرُ
وسريري صحنٌ ناعمٌ.

.٤

آخر الليل
على فراشي
يمتد ظلُّ شجرةٍ بعيدةٍ
وتسيقُ حواسِي كلّها
لقطف التوت.
عيناي مليتان بثديين
وأصابعي ينقطُ منها صياحُ التوت.

لَا أَكْتُبُ
وَلَا أَشْبِعُ
فَقَطْ أَتَذَكّرُ:

امْرَأَةً تُطْعَمُنِي التوتَ مِنْ عَلَى صَدْرِهَا
وَقَصِيدَةً عَوْتَهَا الشَّرَابِشُ
عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ.

امرأة رمادية تحلم بضفدع أخضر

.١

خفيةً

شفتانٍ تطبعانِ أمنيةً
على صورةٍ لضفدعٍ أخضر
في إعلانٍ على زجاجٍ محطةٍ رماديةٍ.
امرأةٌ رماديةٌ
تنسحبُ من قُبلتها
إلى قلب الباص الرمادي
تاركةً خلفها انتظارها
وضفدعًا رماديًا
فقد خضرته في نزوةٍ عابرة.

.٢

ستصل بيتها الرماديّ
زوجٌ رماديٌّ
أطفالٌ رماديّونَ
وعناقٌ راححٌ ضفادعٌ رماديةٌ.
سترتُبُ مُشترياتها في مطبخها
ثم تخفي في خزانتها كيساً
 مليئاً بضفادعٍ حضراءٍ
ونضرةً مثل قطفٍ عنِّيْ أهوجٍ.

.٣

تعزل إلى غرفتها
تمصمصُ ضفادعها الطازجة.
تلثمُ شاشة التلفزيون الرمادي
كلما ظهرت صورةً لضدِّع أخضر
وتقضي ليلاً رمادياً آخر
تسمع لنقيق المعاكسات الهايفية.

.٤

تُغيّرُ شراشفها كلَّ ليلةٍ.
شراشفها خضراءُ أولُ الليل
شراشفها رماديةُ أولُ النهار
ولا آخر للأحلام.
تغفو.
تداعبُ ماءَ سريرِها
مستمتعةً بالضفادع
تقفزُ من رُسوم غطاءاتها
وتطاريز منامتها
لتلعق جسدها بأسنتها الخضراء.

.٥

نومٌ رماديٌّ
حلمٌ أخضرٌ
جسدٌ رماديٌّ
منامةٌ خضراءٌ
زُرْ في فمها
يُبَلّه حلمٌ عن ضفدعٍ أخضرٍ.

.٦

كُل ليلةٍ
امرأةٌ رماديَّةٌ تحلمُ بضفادعٍ خضراءٍ
تلثمُ أحدها بقبلة خضراءٍ
فيصير أميرًا ساحرًا
يأخذها معه إلى عالم دائم الحضرة
لا ضفادع فيه.

وسادي حصالتي

وسادي
حصالة الأيام
امتلأت بالصدى.

وسادي
حصالة الأحلام
امتلأت بالمدى.

وسادي
أرض تنبت فيها الحصالات
وتمتلئ على مهلها
بالتهيؤات والقبلات.
فاضت
بعملة الليل.

وسادي حصال بيضاءُ
وقررت فيها لقصيدتك الآتية
غياباً بعلو ركبتيك
حصيًّا بأجنحة ملونة
ماءً طفلاً
ضفةً فتية
عشباً عاقلاً

شجراً بلا ظلال
اهتمامًا واضحًا
وسريّاً يتقدّم المراوغة بين
صوري عن ذاتي في قصائدِي
وفي كتب غيري.
حصالي وفرت فيها أعداراً تكفيني
إذا داهمني وجه زوجتي
بالحاجة لاختلاق ذكريات جديدة
عن كل ما حولي من فوضى وعنف
أو لا إيجاد مبرّر لضعفِي تجاه نهرٍ
فشل في أن يصبّ نفسهُ بلطافٍ
نحو رملٍ يصرّ أن يكابر
كلما امتلأت رئتيه سمّاً ميتاً
وصدفاً مكسوراً الخاطر.

كل امرأة بمائة رجل

.١

نساء

كل امرأةٍ بمائةٍ رجلٍ
يأكلن بالقلم والسكنين
من جثةٍ صانعُ الخواتِمِ الأول
وحوْلِ مائدةِ التاريخِ
يمضغُنَ الماضيَ بأسنانِ الكلامِ.

.٢

نساء

كل امرأةٍ بمائةٍ رجلٍ
يطبلن على أوراقهن
للحرب مع مرأةٍ
ابتلعت وجوههن
وعقد قيدهن إلى الظلّ.

.٣

نساء

كل امرأةٍ بمائةٍ رجلٍ

لَا ينمن إِلَّا فِي سريرٍ أَعْدَدْنَاهُ
وَلَا يُسْتِيقْظَن إِلَّا لِنَدَاءِ بعْضِهِنَّ
لَا يَجْعُنَّ مِنْ أَجْلِ أَحَدٍ
وَلَا يَأْكُلُن إِلَّا مِنْ مَعْدَنِهِنَّ.

.٤

نِسَاءٌ
كُلُّ امْرَأَةٍ بِمِائَةِ رَجُلٍ
غَرَزَنَ أَظَافِرُهُنَّ فِي ذَكُورِتِي
فَسَالَتْ مَلْوَحَتَهَا
عَضْضَنَ ثَقَتِي بِجَسْدِي
فَرَأَيْتَ عَجْزَهُ أَنْ يَلِدْ لَهُنَّ
غَيْرَ فَمِينَ
وَاحِدٌ لِلشِّبْقِ وَثَانٌ لِلرِّضَاوَةِ.

.٥

نِسَاءٌ
كُلُّ امْرَأَةٍ بِمِائَةِ رَجُلٍ
شَاهَدْتُ فِي عَيْوَنِهِنَّ
أَصَابَعِي مُشَطَّطًا مُوجَعًا
وَلَسَانِي سَوَطًا بِالْفِعَيْنِ
فَهَلْ لِي أَنْ أَكْسِرْ قَلْبِي مِنْ أَجْلِهِنَّ
حَقِّي لَا يَظْلِمْ سَجْنَهُنَّ الْعَذْبُ

هل لي أن أبقي يدي في جيولي دائمًا
حتى لا أشير لهن نحو طريق لا يرغبه
وهل لي ألا أعلق روحي قمرًا على أشجارهن
وأدعهن وحدهن في شأن رحيلهن.

.٦

نساء

كل امرأة بمائة رجل
أتين من أماكنهن البعيدة
إلى زمِنٍ أبعد
لا أدرى
لما احتاجن كل هذا الفراق
لرؤيه وجه الأمهات
لما احتاجن كل هذه المسافة
لفهم البدايات
لم أكن ادرى
أن الذاكرة أشد قسوةً من الحنين
وأن طريقهن سنواتٍ من الأسوار والحلق
أولها هناك
عين صبية تذوي صمتاً وشهوةً للحياة
وآخرها هنا
خدُّ لا يُجيد استقبال الدموع.

سوبر ماركت

إِمْرَأَةُ أَكْبَرُ سَنًا
مِنْ أَيِّ شَجَرَةٍ عَرَفَتْهَا.
تَتَسْوِقُ حَاجِياتِهَا
مِثْلُ شَمْسٍ خَرِيفِيَّةٍ.
فِي سَلَّتِهَا:
طَعَامٌ مُحْمَدٌ وَعَلْبٌ عَصِيرٌ
مَسْحوقٌ لِلْغَسِيلِ وَجَارِزَةٌ صَوْفٌ
أَكِيَاسٌ لِلْقَمَامَةِ وَعَلْبَةٌ مَكِيَاجٌ.
فِي سَلَّتِهَا:
الْجَوْعُ وَالظُّلْمُ
الْوَحْدَةُ الْوَسْخَةُ وَبَرْدُ الْغَرْبَةُ
الْأَيَّامُ الْآتِيَّةُ
وَالْأَيَّامُ الَّتِيْ مَضَتْ.
فِي سَلَّتِهَا:
وُلَدُ اطْمَئْنَانِي لِلْمُشَيْبِ فِي شِعْرِ زَوْجِيِّ.
وَوَجَدَتْ حَبْلَ غَسِيلٍ لِعَصَاتِ شِفَاهِيِّ
وَقَصَائِدَ سَأْتَسْوِقُ لَهَا الضَّوْءَ وَالرَّبِيعَ
مِنْ سَلَالِ الْآخِرِينَ.

أكثر إتساعاً

لي السعادة

ما دمت أتذكّر أكثر مما أتمنى
وأتمنى أكثر مما أحتمل أو أختبئ

بين الأزهار التي تذبل كلما رسمتها مثل طابع بريد.
لي الألم

ما دمت استيقظ في الليل خائفاً من قمر يهدّد بالسقوط
داعماً مثل شجر التبس عليه السياج الخشبي.

لي الحبُّ

ما دمت مغمضًا على رقص الخيل في دمي
وما دام النَّبْض منحازاً إلى الفاكهة.

لي الموتُ

ما دمت أحياناً مثل قرميد البيت بلا مفاجئات
تستحقُ المطر سوى خطوات القحط فوقه.

لي سعادة الألم وحب الموت

ولي قصيدي

ما دام بيتي بيتها

. وبابه يستطيع الصراخ على كسرى التي لم تف بوعدها.
لي قصيدي

ما دامت حديقة البيت الخلفية

لَا تميّزُ بَيْنَ الظَّلَالِ

لَا عَلَى أَسَاسِ الْأَنْتِمَاءِ لِلنَّخْلَةِ الْجَشْعَةِ لِلْأَعْلَىِ

وَلَا عَلَى أَسَاسِ احْتِمَالِهِ يُسرِقُ النَّمَلُ إِلَى شَوْوَنِهِ.

لِي قَصِيدَتِي

حَفَرَةٌ تَتَسْعُ كَلَمَا حَوَلَتِ النَّوْمُ غَصْبًاِ

عَنْ حَنْفِيَّةِ الْمَاءِ الَّتِي تَنْقُطُ فِي الْمَطْبَخِ أَرْقِيِّ.

لِي قَصِيدَتِي

مَا دَمْتُ أَكْثَرَ اتساعًاِ مِنَ الْفَوْضِيِّ حَوْلِيِّ

وَمُشَاجِرَاتِ الشَّوَارِعِ

وَصِيَاحِ الْدِيَكَةِ الْمَهْوُوسِ.

لِي قَصِيدَتِي

مَا دَامَتْ لَيْ نَفْسِيِّ.

الوحدة

الوحدة

هي أن لا تجد من يعطيك منشفةً.
تضطرُ للخروج من الحمّام مبتلاً.

تمشي عاريًّا
على سجادةٍ يمتُّصُك.

ينقُظُ منك صرائحٌ كحبِّ الكرز
أمراهُ مهزومون
وماءُ قديمٌ.
تفادى المِرأة

حتى لا تنبح عليك سُمنتَكَ.
تجلسُ على حافة السرير
تحتك شرشفُ أعمى.
تلتقُطُ منشفةً رطبةً
وتحفَّفُ بها قلبك.
تنظرُ نحو أصابع قدميك:
طالت أظافِرها
ولم يُنبئك أحدٌ
غير جريس الباب.

غَسِيلُ الْمَوْت

الله والشعراء

قد يفنى الشعراءُ
لكن يبقى الشعر على الأرض
وقد ينتهي الأنبياءُ
لكن يظل الله في السماء.
يموت الشعراءُ
ليحييا الأنبياءُ.
ويبقي الشعر
ليعيش الله.

شجاعة الميتين

.١

ذات قصيدة،
سأل شاعرُ ميتُ:
من سيسمّم قصائدي؟
من سيقتلع شجري؟
من سيحرق أرضي؟
من غيري؟
ومن سواي؟

.٢

ذات قصيدة،
أجاب شاعرُ ميتُ:
إذا مات الشاعرُ
ولم تمت كلماته
عاقبوه
أيقظوا دمعه وصوته
وافتحوا كتابه عليه واقرأوه
فالكتاب قبرُ والقصائد تابوت
سيظل فيهما يحييا
 وسيظل فيهما يموت.

.٣

هل أنا ميُتُّ الآن؟
هل ثمة من يمنعني خمس دقائق
أو خمس حِبَّات مطر
قبل أن يعاود القراءة وقتلني
و قبل أن تذكّره كلماتي بالخريف
أو بشاعرٍ ميُتٍ آخر.

.٤

ذات قصيدة،
قال شاعرٌ سيموت:
كلامُ الشعراًء سيموتُ على مهله وحدهُ
ولن يأكل منه أحدُ.
أرضُ الشعراًء ستبورُ على مهلهَا وحدها
ولن يضيع فيها أحدُ.
وحدهم
الشعراًء يغتالون الشّعرَ بسرعةٍ
بلا سلاحٍ مناسبٍ وبلا رحمة لائقةٍ.
وحدهم
لا تواليهم مرايا الآخرين
ولا يقرأون لغيرهم.

.٥

ذات قصيدةٍ
إلتقي الشعراً الميّتونَ بالشاعر الذي سيموت.
كتبوا قصيدةً مشتركةً عن العتمة
و«هاملت» الذي يحلُّ بالسفر إلى نيويورك
بعيًداً عن نزاعات الجيران
والموتى الذين يصرّون على البقاء ميّتينَ.
اقتتلوا وغلبت الكثرة الشجاعة.

الغريب (٣)

.١

الغريب
يزعمُ أنه أنا
وأنه أخي وابن عمّي.
ويدعى أننا سويةً فاكهة الندم والأخطاء
وأن تاريخ الحقول بدده الشجرُ والهواءُ.
يحفظُ في حقيقته
بحريطةٍ للكلام الضائع والطريق الطويلِ
وبصورٍ لأبي وزيتونٍ قليل
نجا من القطف المتسّع
والكلام المعد سلفًا
عن الصمود والرحيل
يحملُ في محفظته
غبارً أمواته ليشتري قلبي
وفي جيوبه دمهُ ودمي
ودمعًا مُدرّبًا على دمعي.
منيّ ومنه
عليّ وعليه
وعلى أمّه وأتّي.

الاولى أنجابت لي الترحال
والثانية أنجابت له الظلال.

.٢

الغرِيبُ

يحبُّ الشِّعرَ والورَدَ مثلي
ويحبُّ أهْلَهُ في بلادي.
يُعْنِي بالهوا جس مثلي
ويدعُها ترْحُلُ كلاماعز
دون أن تُبْقِي ظللاً
تُؤْوِلُها القصائدُ في المراعي
كي تتَّضَحَ الطريقُ
وكِي يعودَ الرعاةُ من كلام المنافي.
يُحِبُّ مثلي العشبَ حكايةً
لا يأكل منها السفر.
والتلال قريبةً وصغيرةً
مثُل اللغة والمخابيء والشجر.
يُحِبُّ حياته في حياتي
وذكرياته في ذكرياتي.

.٣

الغرِيبُ

لا يدعُنِي اختارُ مقابرِي
على مهلي

ولا يدعُ غيره يُذنبُ في حقي.

يضعُ ساعتي على معصمه
كي يقفَ بين النسيان والموت.

ويزرعَ قلبه في جسدي
كي أحبهُ مثل إخوتي
كلّ الحبّ وكلّ الوقت.

لكنه يغضبُ حين أصدقُ ذاكرتي
وحين يمتليءُ كلامي عنه
بقليلٍ من الكراهة والحبّ.
أراهُ عارياً

على بره المُراوغ
يحاول ان يلدني من جديد
غير أن عينيه رصاصتان
ويديه على كتفي من حديد.

يقتلني بحقيقةي الغائبة
وأقتله بحقيقةه الزائفه.

الغريبُ
لا أريدُ قلبه المرأة
ولا قلبه المِمحاـة.
أريدهُ بعيداً عن الغُفران
وبعيداً عن النسيان.

وشایة عن میت

.١

أعرفه
لديه قبرٌ في غرفة الضيوف
يجلس عليه أصدقاءه
ليدفن فيهم ليلاً.

.٢

أعرفه
لديه قبرٌ في غرفة المطبخ
يقدم عليه قهوة النميمة
ليدفن فيها صمتها.

.٣

أعرفه
لديه قبرٌ في غرفة المكتب
يسطر عليه قصائد الفاضحة
ليدفن فيها نظافة أصابعه.

.٤

أعرفه
لديه قبرٌ في غرفة النوم
يوسدُ عليه محاولاتِ الحبِّ والليل
ليدفن فيها عجزه عن الموت وحيداً.

.٥

أعرفه
حياته قبرٌ.

قصيده قبرٌ وقلبه قبرٌ.
أعرفه جيداً

فهو يحب الكتابة عن القبور.

فرس السباق

.١

إقرأني تراني
فرس سباق كهل.
أنهـي مساري مخزيًّا
أبحث عن قارئ يصدق أعذاري.
هل تصدق أن المسافة طالت على؟
هل تراني؟
أرافق ظلي خارج السباق
ولا أجـد من يؤاسيـني خارج القصائد.
هل تقرأـني الآن؟

من يقرأـني سيسـبـقـني.
وسيـفـهمـهـمـ أنهـ لاـ عـزـاءـ
لمـ ضـعـفـ بـصـرـهـ مـثـلـيـ
ولـ مـلـ قـلـبـهـ خـانـ الطـرـيقـ.

.٢

أقولـ لـنـ يـرـانـيـ:
وزـعواـ عـدـتـيـ بـيـنـكـمـ،
الـسـرـجـ لـنـ يـحـبـونـ مـثـلـيـ
جـمـعـ الـعـنـاوـينـ وـالـغـيـومـ.

اللجام لمن سيدكُرني دائمًا
أو لمن سينسانني تماماً.
خذواتي للذين لن يتركوني
عندما سأسقط على ظلي وحدي.
كؤوسِي للخيل التي سبقتها.
زينتي لمن يفوز بها.
أما غباري فأعيدهُ للطريق
وصهيلي دعوه يموت معي.

.٣

أخبركم:
بدأ الوهن
منذ غادرتِ الحقول قلبي
فحلمتُ بالسباق
وعلى مهلة سحب الشجرُ ظلّه من حولي.
بدأ الوهن
منذ صار طموحي منفاي
فافترق الليل الذي يحيط روحِي
عن النهار الذي تصنعه حوافرِي.
بدأ الوهن
منذ صرثُ لا أربح إلا ما يخسره الآخرون
ومنذ فهمتُ أنني لا أضيءُ
وأنني وحيدُ
ولا حاجة لي بالآتي ،

لَا المجدُ
لَا الظفرُ
وَلَا العنفوان.

.٤

أَخْبِرُكُمْ:
لَدِي أَسْرَارُ الْخَيْلِ كُلَّهَا
وَسَأَكْتُمُهَا مَعِي فِي صَدْرِ الْبَرِّيَّةِ.
وَلَدِيكُمْ مَنِيْ قَصَائِدِي
كُلَّهَا كُرُّ وَفُرُّ وَخَيْلٌ وَلَلِيلٌ
كُلَّهَا عَنَاقٌ وَفَرَاقٌ وَكِتَابَةٌ وَكَآبَةٌ.
فِيهَا الْأَفْقُ الذِّي فَتَحَّتَهُ عَيْوَنِي
وَفِيهَا الْمَدُ الذِّي هَزَمْتَنِي فِيْهِ الْعَصَافِيرُ.
فَحَدَّرُوا بِأَشْعَارِي كُلَّ مَهْرٍ صَغِيرٍ
مِنْ نُسِيَانِ أَسْمَاءِ النَّبَاتَاتِ
وَتَعْدَادِ النَّجُومِ بِدُونِ حَبٍ أَوْ انتِظَارٍ
وَمِنْ إِهْمَالِ تَوْثِيقِ الْمَكَاتِبَاتِ
مَعْ صَنَادِيقِ التَّقَاعِدِ وَالْإِدْخَارِ.
حَدَّرُوا بِهَا الْخَيْلَ
مِنَ الْعَدُوِ السَّرِيعِ نَحْوَ الغَرَوبِ
وَالشَّجَاعَةِ عَلَى النَّهَارِ.
حَدَّرُوهَا مِنَ الْجَلْوَسِ طَوِيلًا فِي مَقَاهِي الْمَدِينَةِ
وَمِنَ الْأَنْشَغالِ بِكِتَابَةِ سِيرَةِ لِلْغَبَارِ.

.٥

أَخْبَرُكُمْ:

سِيَظْلِلُ الشُّعْرَاءُ أَبْصَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ.
وَسِيَظْلَمُونَ الْأَسْرَعَ فِي الْهَرْبِ إِلَى أَنفُسِهِمْ.
لِذَلِكَ مِنْ سِيرَانِي سَأْرَاهُ
وَمِنْ سِيرَأْنِي سِيَكْتَبِنِي
وَسِيَحِيَا وَيَمُوتُ جَوَارِي.
أَنَا لَمْ أَصْمَتْ أَبْدًا.
وَلَمْ أَخْسِرْ أَبْدًا.
أَوْ عَلَى الْأَقْلِ
لَمْ أَجْرُؤْ عَلَى ذَلِكَ
فَلَا تَصْدِقُوا أَعْذَارِي
لَا تَصْدِقُوا أَعْذَارِي.

الكتب قبور الشعراء

كتب الشعراء ستموت مثلهم
مثل رائحة قلوبهم
ومثل هفتهم للحياة ميتين.
ستموت ويموتون
مثل كل الأحلام فيها
ومثل كل الكلمات فيهم.
ستموت ويموتون
مثل سديم الخلود الذي سيتبدّد
ولن يجد أرضاً تهبه فرصة ليصير غيمة
بالإمكان اقتباسها دون ان تضيع.
ومثل طرق السعادة التي ستنتهي
دون مدينة تستحق السفر إليها بلا رفيق.
سينتهي كل شيء
حين يكف الله عن محاباة الفلسفه.
ستموت ويموتون
 وسيظل منها ومنهم
كلمة تحاول أن تكون وحدها كل القصيدة
وشاعر يحاول الوصول بأرجوحته
إلى شمس ذاته البعيدة.

ستموت ويموتون
 وسيظل منها ومنهم
 ورق الغلافات السميكة حولها
 وحجارة القبور المبنية حولهم.

عصافيرُ الضوء

ليست العتمةُ
إنما غيابُ النجوم
هو ما يرعبُني في ملَكوت الموت.
ليست الهدأةُ
إنما ضياعُ الكلمات
هو ما يزلزلني في قدّوس الصمت.
ليس الموتُ وليس الصمتُ
إنما عجزي عن فهم الظلام
في ليلة سأفقد فيها عصافير الكلام.

غزالٌ ونخلة

الحياة غزالٌ
أنطق حريتها
فتُسرني غابةً غيابها.
والموت نخلةٌ
أنطق حريتها
في سيل على فمي
عسل فضائيها.

سُقط

.١

عيناي خياشيمي وأصابعي زعاني.
لسانني ذنبي والقصيدة سقوطي.
والعتمة كلها مائي.

.٢

أسقط سكيناً في فضاءٍ غامق.
أقطع الماء حولي كلماتٍ دائريَّةً وداكنة.
تحيط حجراً يتسارع نحو القاع.

.٣

يشتدُّ علىَ الْحِبْرِ
خردُّ أسودٍ يصيَّبُ أطرافي
عتمةٌ سائلةٌ تملأُ روحي
مثلما حين تنهكني التداعيات
أو حين أغرقُ في بحيرةٍ هجرها السماءُ.

.٤

تأخذني الكتابةُ إلى القاع
صامتُ ونفاذُ، حلوُ وناعمُ
القاع مليكي
وصولي وقداني
القاع قمةٌ حواسِي.

.٥

كيف سأفسّر لأصدقائي الشعراء
من أين سقطتُ إلى هذا الماء
سرّ ابتعادي عن إيحاءات القوارب،
وولعي بالغوص في المقاهي
ومعنى «رمق الضوء»
بلغة نباتات الْقَعْرِ.

القبر

.١

منزل ضيق
ذو ثلاثة طوابق
الأول للتراب
الثاني للملائكة
والثالث لنا.

.٢

منزل ضيق
ساكنه واحد ووحيد
حلته البيضاء باردة عليه
ودفء الصلاة لا يكفيه.

.٣

منزل ضيق
جدرانه أبدا لا تنام
ونوافذها أفواهنا.
بابه الدمع حين يختلط بالكلام
وعتبانه أعمارنا.

.٤

منْزُلٌ ضَيْقٌ
لَا نَرِى مِنْهُ إِلَّا مَا لَنَا فِيهِ
جَسْدٌ غَائِبٌ وَارَاهُ الظَّلَامُ
وَبَكَاءٌ يُوقَطُ النَّسِيَانُ
كَلَمَا هَمَّتْ بَنَا الصَّلَاةُ وَالْأَيَامُ.

.٥

منْزُلٌ ضَيْقٌ
أَتَمَّى الإِقَامَةَ فِيهِ كَمَا فِي حَيَاةِي
عَلَى تَرَابٍ نَاعِمٍ كَذَكْرِيَاتِي
وَمَعَ مَلَائِكَةٍ تُحَاجِي الشُّعُرَاءَ
بِالسَّجَائِرِ وَالصُورِ الْخَلِيلِيَّةِ وَالدُّعَاءِ.
وَتَفْتَعِلُ بَدْلَ مَوْتَهُمُ الْعَادِي شَهَادَةً
مِنْ أَجْلِ الْحَبَّ أَوِ السَّمَاءِ.
صَرَنَا لَا نُطِيقُ أَنْ نَمُوتَ بِبِسَاطَةِ كَغِيرِنَا
فِي لَادِنَا وَطَنُّ كَلَهُ لِلشَّهَدَاءِ.
وَحْرَيٌ بِنَا نَحْنُ الشُّعُرَاءُ
أَنْ نَهَبَ أَكْثَرَ وَقْتًا لِلنَّاسِ مِنْ أَظَافِرِنَا
وَمِنَ الْمَحاوِلَاتِ الْفَاشِلَةِ لِفَهْمِ الْمَسَاءِ.

.٦

منزل ضيق
سيأتي إليه أحبني
ليتقولوا عن الله والصبر والأرض،
وليذكروا بعضهم بروابط الدم والدموع.
وسينسوا أن يقرأوا لي قصائد وطنية جديدة
وان يشعروا حولي قلوبهم مع الشموع.
لذلك أرجوكم:
«لا تنسوا أن تسقوا قلبي المفتت
بموسيقى الجاز وقهوة عربية،
ولا تعتبوا عليَّ
ستكونُ هذه القصيدة المعاشرة
ضيافتكم الوحيدة عندِي».

مقبرةُ الْبَلْد

حديقةٌ فسيحةٌ على سفح البُكاء
أعلى ما في بلدي
وأقربُ ما فيها إلى السماء.
وردها مما أبقياه المارون إلى دمعهم
فتّتوا الأكاليل أسماءً لعمرهم.
منه ما صار زهراً من خشب
يابساً كقمرٍ علّقهُ المُحِبُّون
ونسوه في الفضاء.
ومنه ما ظلّ زهراً من طرب
ناديًا كفجرٍ وهبة العاشقون
للظلّ والضياء.
منه ما صار قديماً كهواء القلب
ومنه ما ظلّ جديداً كجوف الأرض.
ولا بستاني عندنا إلا الله.
الله الذي يروي الماء بالماء
ويرعى الحزن بعينين من غيمٍ ونار.
الله الذي يروي الحضور بالغياب
ويهبُ غصنَ الوقت براعم الأسرار.
الله يا الله

يده في يدنا / يده فوق يدنا.

الله يا الله

يطرق بالمطرِّ فينا كل باب.

البرُّ للقلب

والرعدُ ليقطنَ التراب.

وكُلُّنا مشتاقون

وكُلُّنا أحباب.

نصفي وفيانا خوفٌ ووعدٌ

وفيانا رُّدٌّ وعشقٌ ووردٌ.

لأيام نخافُ منها

وآخرى نخافُ عليها.

وببلاد آذتنا

وآخرى أحبتنا.

الله

ما أكثر الأبواب المفتوحة

في بلدي.

الله الله

ما أكثر الأبواب المفتوحة

في بلدي.

الله الله الله

ما أشدّ الْطَرْقَ على بَابِ غُرْفَتي

ما أشدّ الْطَرْقَ على بَابِ غُرْفَتي !!

نُبُوَّة

مثلي
قصيدي ستموت
في أجمل الفصول.
ستقضى في يوم صافٍ
ونهار ضوءٌ قتال الرؤية.
سيغتالنا شاعرٌ آخرٌ
أو ستقتلنا قصيدةٌ أخرى
كتبها آخرون لآخرين.
سنموت من شدّة البصر.
وسنقضي من شدّة الحسرة
لأننا لم نكتب عن بعضنا
كالآخرين إلى الآخرين.

جُثثنا أَفْضَل

- جُثثنا أَفْضَل
- جُثثنا أَغْلِى
- دَمُنَا أَجْمَلُ
- دَمُنَا أَحْلَى
- أَمْوَاتُنَا شَهَدَاءُ وَأَمْوَاتُكُمْ قُتْلَى
- أَمْوَاتُكُمْ لِلثُّرَابِ وَأَمْوَاتُنَا أَعْلَى
- أَنَا الضَّحِيَّةُ وَأَنْتَ الْقَاتِلُ
- أَنَا الْبَاقِي وَأَنْتَ الزَّائِلُ
هَكَذَا تَكَلَّمُ الْجَنَّرَالَاتِ
هَكَذَا انْقَسَمَ الَّذِينَ فَاضَلُوا بَيْنَ دَمَوْعِ الْأَطْفَالِ
وَدَمَوْعِ الْأَمْهَاتِ.

لماذا اختارونا كي نكون ضحاياهم ؟

قطّعوا كل شجر الغابة
من أجل سفينة واحدة.
عَرَّونا كُلُّنا الأحياء والميّتین
من أجل شرائِع واحدٍ.
ثم أمرُونا أن نبكي وأن نلوّح لهم.
كي يكونَ بحرًّا كافِّا للبعد عنّا
وتقُولَ ريحُ مواتية للرّحيل فجأةً
قبل أن نتعلّم لغتهم.
لكنّنا سنكتبُ سيرَتنا كما شئنا.
نصفُ الحقيقة لنا ونصفُ الكذب عنهم.
سنستطردُ حيث تتبيّح الطبيعة لنا ذلك
وسنختصرُ حيث العشبُ كان عورَتنا الأخيرة.
ثم سنروي سيرَتهم كما يطيبُ لنا أن نتذكّر أنفسنا:
ضحايا أمامَ سطوتِهم
(تماماً مثل بداية هذه القصيدة)

لن نكتب شيئاً عن إخوتنا
الذين شجّعونا على الاطمئنان لهم
ثم دلّوهم إلى جُذورنا.
سنعلم أطفالنا أننا كُلُّنا واثقين بالنصر منْ البداية.

وأننا مكتنّاهم من الغابة
لأنهم كانوا يقطعون منها خشبَ غِيابهم.
سنكتبُ ما نشاء.

لكنّهم سيتركوننا دون أن ندري
لماذا اختارونا كي نقلّدهم في كراهيّة الطبيعة؟
لماذا دَرَبُونا على الوقوف طويلاً على الشاطئ؟
ولماذا علينا أن نهجس بفؤوسهم كل العمر؟

بداية ونهاية

في الحياة
نستمر دائماً
من حيث انتهى آخر شيءٍ فينا،
في الحب
نعود دائماً
إلى حيث بدأ أول شيءٍ فينا
في الحياة
نعود دائماً إلى البداية،
في الحب
نستمر دائماً إلى النهاية
هكذا وعظتني الأشجار
فما أكلت منها إلا الظلال،
وهكذا علمتني الأيامُ
فما عشت منها سوى الترحال.

الفهرس

ملاقط غَسِيل

١١	غَسِيل الولادة
٤١	غَسِيل العائلة
٩٥	غَسِيل الأيام
١٢٣	غَسِيل المقاهي
١٦٩	غَسِيل الحُبّ
٢٠٢	غَسِيل الموت



دار راية للنشر

2015